

صلى الله  
عليه وسلم

# سبيل الخلق

## طفولته وصباه



بقلم: كريمان حمزة • رسوم: صلاح بيسار



دار الشروق



صلى الله عليه وسلم  
حديث الخلق  
طفولته وصباه

الطبعة الأولى  
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣  
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ ( ٠٢ ) تليكس SHROK UN 93091  
نيويورك ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣  
فاكس ٨٦٧٥٥٥ - تليكس SHOROK 20175 LI

# سِيَرُ الْخَلْقِ طِفْولَتُهُ وَصِبَاهُ

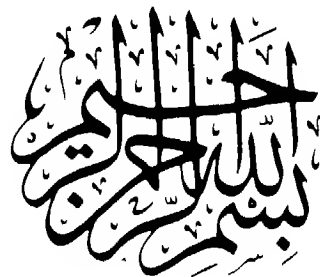
بقلم: كريمان حمزة • رسوم: صلاح بيصار



الجزء الأول

دار الشروق





## تقديم

جذبت السيرة النبوية العطرة آلاف الكتاب من أقطار مختلفة وعلى مر الزمن ليكتبوا فيها ، وفي مصر تسابق المؤرخون في هذا الميدان الكريم ، وقد كان من الشرف لى أن كتبت السيرة النبوية الشريفة



عدة مرات ، كتبتها جزءاً من موسوعة التاريخ الإسلامى ، ومرات كتبتها تلبية لطلبات جامعات وهيئات مختلفة ، وقرأت أكثر ما كتب قديماً وحديثاً عن هذه السيرة العطرة باللغة العربية وبغيرها من اللغات التى أعرفها .

ثم قرأت ما كتبه الأستاذة كريمان حمزة وأشهد لقد وجدت فيما كتبت شيئاً جديداً ، فمن الواضح أن قليلات من النساء من اتجهن لهذا النوع من الكتابة ، ولأن سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت فى حاجة لقلم سيدة بالإضافة إلى أقلام الرجال فلما كتبت الأستاذة كريمان حمزة هذه السيرة ظهر فيما كتبت روح المرأة ؛ فقد استطاعت أن تعبر أكثر من غيرها عن حزن العروس آمنة عندما فقدت زوجها بعد لقاء قصير ، وكذلك كان موقفها من تصوير هلع حليلة السعدية أم الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الرضاع عندما سمعت عما هدد حياة رضيعها الحبيب كما صوّرت



بذكاء وحرص عاطفة الميل الذى دب فى أعماق السيدة خديجة نحو محمد ودفعها لطلب يده عن طريق امرأة اختارتها لذلك .

وهكذا على الرغم من كثرة ما كُتِبَ عن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كنا فى حاجة لقلم سيدة لتضيف شيئاً لهذه الدراسة .

وقد قامت السيدة كريمان حمزة بذلك خير قيام بالإضافة إلى الكثير من التعليقات المفيدة والتحليلات العميقة التى جاءت فى أسلوب رشيق فأكسبت العمل قوة ونضارة .

من أجل هذا يسرنى أن أقدم هذه الدراسة ليس فقط للصبيان بل للقراء بوجه عام ، وأعتقد أنها ستنال حقها من الإقبال والتقدير .  
وأدعو الله أن يحسن جزاء الكاتبة عن هذا الجهد المشكور.

د . أحمد شلبى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية  
بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

# أردت بهذا الكتاب

أردتُ بهذا الكتاب أن أجذب أبناء المستقبل إلى شخصية  
المصطفى المختار . . فحاولت أن أكتب السيرة بحيث تُقرأ بشوق  
ولهفة وحنينٍ وحب كبير . . وحاولت قدر المستطاع أن أقف عند  
سلوك النبي - صلى الله عليه وسلم - أمام الأحداث العظام والأمر  
الجسام . . ليكون قدوة ونبراسًا لأبنائنا . . يعرفون من خلاله كيف  
يتعاملون مع الله . . ومع الناس . . كل الناس . . ومع الأشياء . .  
وكيف يتحولون إلى رحمة مهداة . . فيحسنون الخلافة لله في أرضه . .  
يعشقون الخير ويتمنون وقوعه بين الناس . . كل الناس . . حتى  
يكونوا سببًا من أسباب الحق والخير والجمال في هذا العالم . . الذي  
أرادَه الإسلام أمةً إنسانيةً واحدةً « إن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا  
ربكم فاعبدون » الآية ٩٢ سورة الأنبياء . . « وإن هذه أمتكم أمة  
واحدة وأنا ربكم فاتقون » الآية ٥٢ سورة المؤمنون . .

أردت بهذا الكتاب أن أقدم شخصية « محمد » الذي أدبه ربه  
فأحسن تأديبه . . كيف كان يتعامل مع الأعداء قبل الأحاب ،  
ومع أهل الكتاب قبل المسلمين . . مع المرأة . . مع الطفل . . مع  
الشيخ . . مع المريض . . مع الأسير . . مع العاصي . . مع الضال . .  
أردت أن ألفت النظر إلى شخصية « محمد » القرآن الذي  
يمشى على الأرض . . فيحل الأمن والسلام . . والخير والحب أينما  
سار وحل . .

أردت أن أساعد ولو بجزء ضئيل في صناعة عقلية أمة يأتى



هواها تبعًا لما جاء به وحى السماء . . تعرف الهدف الذى تكرس له الوجود . . والجهود . . فتعمل لوجه واحد هو الله فيكفيها الله كل الأوجه وتعتر بالله . . فيعزها الله بنصره . . وتخدم الله . . فتخدمها الدنيا ولا تستخدمها . .

أردت أن أشارك فى صناعة جيل يدرك أن الله قد رشحه لمنزلة ضخمة . . هى عمارة الأرض بالعلم الذى ألح عليه الإسلام بالعمل الذى نادى به القرآن وأكد عليه وقرنه بالإيمان .

جيل قد امتلأ قلبه بحب الله وحب أنبيائه ورسله . . فلا مكان للشيطان وأعوانه . . جيل يمر مرَّ الكرام على المعاصى والآثام . . والمظالم التى طفحت بها دنيانا المعاصرة . . فيقدم القدوة الطيبة والهدف النبيل .

\* \* \*

وبعد فقد ابتغيت بالصورة الملونة المصاحبة للكلمات أن أخطب الأبناء بلغة العصر المليئة بكل مظاهر الجذب والتشويق والزينة ، أردت أن أخطب جيل الفيديو والتلفاز بنفس الأدوات الفعالة المشوقة . . بالصورة الجميلة . . والريشة الأنيقة . . واللقطة التى تُحفر فى القلب والخيال . . سنوات بعد سنوات . .

ولقد حرصنا تمام الحرص على ألا يظهر فى الصور أى شخصية محظورة . . كالأنبياء - والملائكة . . والعشرة المبشرين بالجنة . . وآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم .

دعاء من الأعماق أن يتقبل الله هذا العمل . . وأن ينفع به .

كريمان حمزة



## عَبْدُ الْمُطَلِّبِ جَدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بْنُ هَاشِمٍ جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَكْرَمِ بَيُوتِ  
قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ وَالَّتِي كَانَ لَهَا شَرَفُ خِدْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ  
وَالْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ وَسِقَايَةِ الْحَجِيجِ وَإِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ،  
وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ يُمَارِسُ سِقَايَةَ الْحَجِيجِ بِنَفْسِهِ فِي حَيَاضٍ  
مِنْ جِلْدٍ وَرَغَمَ حُبَّهُ لِهَذَا الْعَمَلِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَبْذُلُ مَجْهُوداً شَاقّاً  
نَظراً لِقَلَّةِ الْمَاءِ وَبُعْدِهِ عَنْ مَكَانِ الْحُجَّاجِ .

بَاتَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ يُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةٍ سَهْلَةٍ تُيسِّرُ لِلْحَجِيجِ  
الْمَاءَ ، وَسَمِعَ مِنْ أَقَاصِيصِ الرُّوَاةِ عَنْ بَثْرِ زَمْزَمَ الَّذِي تَفَجَّرَ  
تَحْتَ قَدَمِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ طَمَسَتْهَا وَأَخْفَتْ مَعَالِمَهَا  
قَبِيلَةُ تُدْعَى ( جُرْهُم ) . وَتَمَنَّى عَبْدُ الْمُطَلِّبِ لَوْ عَرَفَ مَكَانَهَا  
لَظَلَّ يَحْفُرُ الْأَرْضَ حَتَّى يَعْثَرَ عَلَى زَمْزَمَ وَيَسْقِي الْحَجِيجَ  
بَسَهْوَةٍ .

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ ، عَادَ مِنْهُمْ الْقَوَى مِنْ سِقَايَةِ النَّاسِ  
طَوَالَ النَّهَارِ ، وَارْتَمَى عَلَى الْأَرْضِ وَرَاحَ يُفَكِّرُ فِي بَثْرِ زَمْزَمَ ثُمَّ



غَلَبَهُ النَّوْمُ ، فرأى فيما يرى النائم هاتفاً يقول : يا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ احْفَرْ « طيبة » فقال وما طيبة ؟ ولكن الهاتِفَ كان قد انصرف واستيقظ عبدُ الْمُطَلِّبِ وهو يسأل نفسه ما هِيَ طيبة ؟

وفي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عندما ذَهَبَ في نَوْمٍ عَمِيقٍ بَعْدَ مَجْهُودٍ شاقٍّ سَمِعَ عبدُ الْمُطَلِّبِ نَفْسَ الصَّوْتِ يقولُ له : احْفَرْ « بَرَّة » فقال : وما بَرَّة ؟ وَلَكِنَّ الهاتِفَ كان قد انصرف . . . وظلَّ عبدُ الْمُطَلِّبِ يتساءلُ طَوَالَ اليَوْمِ ما هِيَ طيبة ؟ وما هِيَ بَرَّة ؟ وفي آخرِ الليلِ كَانَ التَّعَبُ قد وصلَ به إلى مَدَاهِ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ على الأَرْضِ وَذَهَبَ في نَوْمٍ عَمِيقٍ ، فَسَمِعَ الهاتِفَ يَقُولُ له : احْفَرْ « المَضْنُونَةُ » قال عبدُ الْمُطَلِّبِ بلهفَةٍ وما المَضْنُونَةُ ؟ وَلَكِنَّ الهاتِفَ اخْتَفَى . شَغِلَ عبدُ الْمُطَلِّبِ بِهَذِهِ الرُّؤْيَى ، وَرَاحَ يُفَكِّرُ وَيَسْتَشِيرُ النَّاسَ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ كَثْرَةَ تَفَكُّيرِهِ في زَمَزَمَ هو الذى جَعَلَهُ يَرَى هَذِهِ الْأَحْلَامَ . وَلَكِنَّ عبدَ الْمُطَلِّبِ كان يَشْعُرُ في قَرَارَةِ نَفْسِهِ أن هذه الرُّؤْيَى لا بد أن تَعْنِيَ شيئاً ، فَظَلَّ مُتَحِيرًا مُشْتَاقًا لِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ هَذَا الهاتِفِ . . . وفي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ جاء نَفْسُ الهاتِفِ وَقَالَ : يا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ احْفَرْ زَمَزَمَ فَقَالَ عبدُ الْمُطَلِّبِ : وما زَمَزَمُ ؟ فقال الهاتِفُ في هدوءٍ « لا تَنْزَحْ ولا تَدُم » <sup>(١)</sup> أى تَفَرِّغْ من المَاءِ الشَّهْيِّ . . . فقال

(١) أى لا تحف أبداً .

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَلْهُوفاً: وَأَيْنَ أَجِدُهَا؟ قَالَ الْهَاتِفُ عِنْدَ نَقْرَةِ  
الْغُرَابِ الَّذِي يَكُونُ فِي جَنَاحَيْهِ بَيَاضٌ ، وَيَكُونُ بَقِيَّةَ رِيشِهِ  
أَسْوَدَ . فَقَفَزَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ فِرَاشِهِ وَانْطَلَقَ إِلَى سَاحَةِ  
الْكَعْبَةِ ، وَرَاحَ يَبْحَثُ بِعَيْنَيْهِ حَتَّى رَأَى غُرَاباً لَوْنُهُ أَسْوَدُ وَفِي  
جَنَاحَيْهِ رِيشٌ أَبْيَضُ ، يَنْبِشُ بِرِجْلَيْهِ وَيَنْقُرُ بِمَنْقَارِهِ فِي الْمَكَانِ  
الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ وَتُوزَعُ عَلَى  
الْفُقَرَاءِ . . رَكَزَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ نَظْرَهُ عَلَيْهِ وَتَأَكَّدَ أَنَّ هَذَا هُوَ  
الْمَكَانُ الَّذِي إِنَّ حَفْرَهُ وَجَدَ زَمْزَمَ .

جَرَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى بَيْتِهِ وَأَخَذَ فَأْساً وَمَقْطَفاً ، وَنَادَى  
عَلَى وَلَدِهِ الْوَحِيدِ ( الْحَارِثُ ) وَاتَّجَهَ بِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَأَخَذَ يَحْفَرُ  
دُونَ كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ ، وَابْنُ الْحَارِثِ يُسَارِعُ فِي مُعَاوَنَتِهِ حَتَّى  
ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَشْعُرَا بِوَهَجِ  
الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ الَّتِي لَفَحَتِ الْمَكَانَ كُلَّهُ وَقَتَ الظَّهِيرَةِ ، بَلْ  
رَاحَا يَنْشِدَانِ الْأَغَانِيَ وَالْأَشْعَارَ وَهُمَا فِي حَالَةٍ مِنَ السُّرُورِ  
وَالترْقُبِ أَذْهَشَتْ كُلَّ الْمَارَّةِ .

وَذَاكَ خَبْرُ الْحَفْرِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ سَيِّدُ قُرَيْشٍ عَبْدُ  
الْمُطَّلِبِ وَابْنُ الْحَارِثِ ، فَأَغْضَبَ ذَلِكَ رُؤَسَاءَ الْقَبَائِلِ  
وَاعْتَرَضُوا عَلَى الْحَفْرِ بِجَوَارِ الْكَعْبَةِ ، وَحَاوَلُوا مَنَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ



قَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَطْلِبِ : أَمَّا الذَّهَبُ وَالسَّلَاحُ فَهِيَ مِلْكُ  
لِلْكَعْبَةِ ، وَأَمَّا الْمَاءُ فَاجْعَلُوهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ حَكَمًا فَإِنْ حُكِمَ  
لَكُمْ بِهِ فَهُوَ مَاؤُكُمْ ، وَإِنْ حُكِمَ لِي فَهُوَ مَائِي الَّذِي رَزَقَنِي اللَّهُ  
بِهِ دُونَكُمْ .

فَرَحَّبَ الْقَوْمُ بِهَذَا الرَّأْيِ وَقَالَ كَبِيرُهُمْ : نَذْهَبُ إِلَى الْعِرَافَةِ  
( كَاهِنَةِ بَنِي سَعْدِ ) الَّتِي تَسْكُنُ عِنْدَ حُدُودِ الشَّامِ لَتُوجِّهَنَا إِلَى  
الصَّوَابِ . . . وَهَلَّلَ الْجَمِيعُ لِلْفِكْرَةِ .

وَفِي الصَّبَاحِ خَرَجَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ وَمَعَهُ عِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ  
رِجَالِهِ ، وَخَرَجَتْ قَرِيشٌ وَمَعَهَا عِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ رِجَالِهَا . .  
وَعِنْدَمَا اقْتَرَبُوا مِنْ حُدُودِ الشَّامِ ، نَفِدَ الْمَاءُ الَّذِي مَعَهُمْ  
وَكَادُوا يَهْلِكُونَ جَمِيعًا . . فَقَرَّرَ الْبَعْضُ الْعُودَةَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَرَّرَ  
الْبَعْضُ الْآخِرُ الْبَقَاءَ فِي أَمَاكِنِهِمْ حَتَّى الْمَوْتِ وَرَفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى  
عَبْدِ الْمَطْلِبِ . . . فَصَاحَ فِيهِمْ :

مَا هَذَا الْعَجْزُ وَالْاِسْتِسْلَامُ لِلْمَوْتِ . . . لَا يَصِحُّ أَنْ  
نَيَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلِنَوَاصِلِ السَّيْرِ حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ  
وَيَشْمَلَنَا بِرَحْمَتِهِ وَقَدْ يَتَفَجَّرُ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِنَا بِقُدْرَةِ اللَّهِ ،  
ثُمَّ اعْتَدَلْ وَاقِفًا وَرَكِبْ نَاقَتَهُ وَزَجَرَهَا وَمَا إِنْ اعْتَدَلَتْ النَّاقَةُ  
وَاقِفَةً حَتَّى فُوجِيَ الْجَمِيعُ بِالْمَاءِ يَتَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِ



الناقة . . . فكَّبر عبدُ المطلب وقال أبشروا يا قوم فقد  
سقانا الله . . . فاندفع القوم إلى الماء يشربون ويسقون  
جماهم وركائبهم ، ثم رجعوا إلى أنفسهم وقال زعيمهم  
يا قوم: لقد ظهر الحق واضحاً جلياً . . . وإنَّ عبدَ المطلب  
لأقربنا إلى الله وإلى الخير وأبعدنا عن الشر ، وإنَّ الذي  
سقانا في هذه الصحراء هو صاحبُ زمزم وإنَّ زمزم خالصة  
لعبد المطلب سيد قريش . . ثم عاد الجميع إلى مكة راضين  
مستبشرين .

ومنذ ذلك اليوم صارت زمزم حقاً لآل عبد المطلب  
يسقون منها الحجاج .

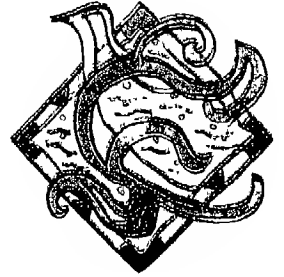




## « الذَّبِيحُ »

ظَلَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَعْمَلُ فِي سَقَايَةِ الْحَجِيجِ ، وَيُرْزَقُ فِي كُلِّ  
عام بُولَدٍ حَتَّى بَلَغَ بَنُوهُ عَشْرَةَ رِجَالٍ ، عِنْدَئِذٍ شَعَرَ عَبْدُ  
الْمُطَّلِبِ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ آنَ لِيَفْعَى بِنَذْرِهِ فَجَمَعَ أَوْلَادَهُ وَقَالَ لَهُمْ :  
لَقَدْ تَمَنَيْتُ عَلَى اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يَمْنَحَنِي عَشْرَةَ أَبْنَاءٍ أَحْمِي  
بِهِمْ ظَهْرِي وَأَشُدُّ بِهِمْ مِنْ أَرْزِي . . وَنَذَرْتُ إِنْ مَنَحَنِي إِيَّاهُمْ  
لَأَذْبَحَنَّ لَهُ وَلِذَا تَقَرُّبًا وَعِرْفَانًا . . وَهَا قَدْ آنَ الْأَوَانُ لِأَفْعَى  
بِالنَّذْرِ فَمَاذَا تَرُونَ ؟ قَالَ الْجَمِيعُ : كَيْفَمَا تَرَى يَا وَالِدَنَا . .  
وَقَدَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفْسَهُ فَسَعِدَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِطَاعَةِ أَبْنَائِهِ  
وَرِضَاهُمْ ، وَاتَّجَهَ الْجَمِيعُ إِلَى سَادِنِ الْكَعْبَةِ لِيَقْرَعَ بَيْنَهُمْ  
بِالْقِدَاحِ . .

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ كُلِّمَا احْتَارُوا فِي أَمْرٍ هَامٍ ، أَنْ  
يَلْجَأُوا إِلَى الْقِدَاحِ ، فَمَا أَشَارَتْ بِفِعْلِهِ فَعَلَوْهُ ، وَمَا أَشَارَتْ  
بِتَرْكِه تَرَكَهُ . وَالْقِدَاحُ أَشْبَهُ بِالْقُرْعَةِ الَّتِي نَلْجَأُ إِلَيْهَا فِي أَيَّامِنَا  
هَذِهِ . . وَكَانَ الْعَرَبُ يُؤْمِنُونَ بِالْقِدَاحِ إِيْمَانًا قَوِيًّا . . . وَلَمَّا  
ذَهَبَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى سَادِنِ الْكَعْبَةِ ( خَادِمِ الْكَعْبَةِ ) أَمَرَهُ أَنْ  
يُدِيرَ الْقِدَاحَ بَيْنَ أَبْنَائِهِ ، فَأَيْتَهُمْ خَرَجَ بِاسْمِهِ فَهُوَ الذَّبِيحُ . .



ثم ضَرَبَ القِدَاحَ فخرَجَ اسم (عبدُ الله) أَصْغَرُ أَبْنَاءِ  
عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى قَلْبِهِ . . كما كان (عبدُ الله) محبوباً  
من أهل مَكَّةَ كُلِّهَا لِسَمَاحَتِهِ وَرَقَّتِهِ فِي مَعَامِلَةِ النَّاسِ وَبُعْدِهِ  
عَنِ هَوِ الشَّبَابِ وَأَنِحِرَافَتِهِمْ . فلما وَقَعَ عَلَيْهِ القِدَاحُ فَرَزَعَ كُلُّ  
مَنْ فِي الكَعْبَةِ . . وَرَفَضُوا ذَبْحَهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ أَخَذَ  
عَبْدَ اللَّهِ مِنْ يَدِهِ إِلَى المَذْبَحِ فَصَرَخَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، وَتَعَلَّقَتْ  
إِحْدَاهُنَّ بِجِلْبَابِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَرَاحَتْ تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ وَتَرْجُوهُ  
بِأَحَرِّ الكَلِمَاتِ حَتَّى بَكَى كُلُّ الحَاضِرِينَ ، وَتَقَدَّمَ أَحَدُ  
مَشَايِخِ القَبَائِلِ وَقَالَ لِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ : إِنَّكَ إِنْ ذَبَحْتَ ابْنَكَ  
سَنَنْتَ سَنَةً سَيِّئَةً وَسَيَتَبِعُكَ الآخَرُونَ لِأَنَّكَ قُدْوَةُ النَّاسِ  
جَمِيعاً . . فَلَا تَذْبَحْ أَحَدًا مِنْ أَبْنَائِكَ وَلِنَذْهَبَ جَمِيعاً إِلَى عِرَافَةِ  
يَثْرَبَ فَمَا حَكَمْتَ بِهِ فَهُوَ الْحُكْمُ الْحَقُّ . . .

ذَهَبَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ وَمَعَهُ بَعْضُ زُعَمَاءِ القَبَائِلِ إِلَى يَثْرَبَ  
والتَّقَوْا بِالْعِرَافَةِ . . وَعَرَضُوا عَلَيْهَا الْأَمْرَ . . فَقَالَتْ لَهُمْ دَعُونِي  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَفَكِّرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ . . وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ قَالَتْ لَهُمْ :  
- كَمْ الدِّيَّةُ عِنْدَكُمْ ؟ ( وَالدِّيَّةُ مَا يُدْفَعُ عِوَضًا عَنِ الْقَتِيلِ ) .  
- قَالُوا : عَشْرَةٌ مِنَ الْإِبِلِ .

- قَالَتْ : آتُونِي بِعَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَقَرِّبُوهَا وَقَرِّبُوا عَبْدَ اللَّهِ



- قالت : آتونى بعشرة من الإبل فقرّبوها وقربوا عبد الله  
ثم اضربوا عليهما القداح ، فإن خرجت القداح على الإبل  
فاذبحوها ، وإن خرجت على عبد الله فزيدوا فى الإبل  
عشرة ، وهكذا تستمرّون فى زيادة الإبل عشرة بعد عشرة حتى  
تقع القداح على الإبل ، فمتى وقعت على الإبل فاعلموا أن  
ربكم قد رضى بهذا الفداء .

فلما رجعوا إلى مكة جاءوا بعشرة من الإبل ، وضربوا  
القداح عليها وعلى عبد الله فخرجت القداح على عبد الله  
فزادوا الإبل عشرة فخرجت القداح على عبد الله ، ثم ما زالوا  
يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت المائة ، ثم ضربت القداح  
فخرجت على الإبل . . فصاح القوم . . الحمد لله . .  
الحمد لله لقد رضى ربنا . . . وأمر عبد المطلب بالإبل المائة  
فدبّحت وتركت طعاماً لأهل مكة من الفقراء والمساكين بل  
ومن الحيوانات والطيور .

اطمأنَّ عبد المطلب وأخذ عبد الله بين ذراعيه ، وراح  
يَبْكى فرحاً والقوم من حوله فرحين مسرورين بنجاته من  
الدّبح . . ثم قرّر عبد المطلب أن يجعل الفرحة فرحتين  
فخطب لعبد الله فتاة جميلة من قبيلة بنى زُهرة أعلى بيوت



قُرَيْشٍ مكانةً اسمها « آمنة بنت وهب » ولما ذاع خبرُ زواجِ  
عبدِ الله من آمنة بنتِ وهبِ حَزِنَتْ نساءُ مكة ، فلقد كانت  
كُلُّ واحدةٍ منهن تتمنّى الزواجَ من عبدِ الله وَكُنَّ يُجْمَعْنَ على  
أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ فِيهِ سِرٌّ . . . نعم فيه سرٌّ . . . فيه نُورٌ وَبَرَكةٌ وَكُنَّ  
يُذَرِّكُنَّ بِقُلُوبِهِنَّ وَأَبْصَارِهِنَّ هذا النورَ العجيبَ الذى ينبثقُ  
منه أينما حلَّ . . . ولم يكن أحدٌ يعرفُ أَنَّ هذا النورَ هو « محمدُ  
ابن عبدِ الله » الذى ما زالَ فى صُلبِ أبيه . . .

وبعدَ الاحتفالِ بالزفافِ ذَهَبَ العروسانِ عبدُ الله وآمنةُ  
إلى مِنى « حيثُ الجَوْ النَقِيُّ والْفَضَاءُ والسُّكُونُ ، وهناك  
حَمَلَتْ آمنةُ بَسِيْدَ الخَلْقِ محمدَ بنِ عبدِ الله » .

\* \* \*



## مَوْلِدُ الرَّسُولِ وَطُفُولَتُهُ

بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ «عَبْدُ اللَّهِ» مِنْ «أَمْنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ» وَمَكَثَ  
مَعَهَا عِدَّةَ شُهُورٍ ، جَاءَ دَوْرُهُ لِيَسَافَرَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ لِلتَّجَارَةِ  
كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي هَذِهِ الْبَيْئَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ ، وَلَمْ يَشَأْ «عَبْدُ اللَّهِ»  
أَنْ يَعْتَذَرَ عَنْ هَذِهِ الرَّحْلَةِ حَتَّى لَا يُقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ مُدَلِّلٌ بِحُكْمِ  
كَوْنِهِ ابْنًا لِسَيِّدِ قُرَيْشٍ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ فُرْصَةً لِلْفَرَحَةِ  
بِعَرُوسِهِ . . . لَذَا قَرَّرَ «عَبْدُ اللَّهِ» السَّفَرَ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ إِلَى  
الشَّامِ . . . وَوَدَّعَ «أَمْنَةَ» ثُمَّ تَرَكَهَا تُقَاسِمُ مَرَارَةَ الْفِرَاقِ وَالْوَحْدَةِ  
الَّتِي جَاءَتْ مَبَكْرَةً عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ .



وَفِي الطَّرِيقِ إِلَى الشَّامِ عَانَى «عَبْدُ اللَّهِ» أَشَدَّ الْمَعَانَاةِ مِنْ  
شِدَّةِ الْحَرَارَةِ وَوَهَجِ الصَّحَرَاءِ طَوَالَ الطَّرِيقِ ، وَلَكِنَّهُ صَمَدٌ  
وَحَاوَلَ التَّمَاسُكَ حَتَّى وَصَلَتْ الْقَافِلَةُ إِلَى أَسْوَاقِ الشَّامِ ،  
فَأَخَذَ «عَبْدُ اللَّهِ» يَبِيعُ وَيَشْتَرِي دُونَ أَدْنَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ ،  
كَانَ يَرِيدُ أَنْ يُنْهِيَ الْمَهْمَةَ سَرِيعًا حَتَّى يَعُودَ إِلَى عَرُوسِهِ . .  
وَفِي أَثْنَاءِ الْعَوْدَةِ شَعَرَ «عَبْدُ اللَّهِ» بِنُوعٍ مِنَ الدُّوَارِ وَالْهَبُوطِ ،  
وَرَاخَ يَتَحَامَلُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَكِنَّ جَسَدَهُ أَخَذَ يَرْتَعِشُ  
وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ فَأَصْبَحَ شَدِيدَ الشُّحُوبِ فَقَرَّرَ الْقَوْمُ

الالتجاء إلى « يثرب » حتى يُعالج « عبدُ الله » عند أخواله ثم عادت القافلة إلى مكة .

وعندما اقتربت من مكة خرج شباب القبائل ونساؤها وشيوخها وأطفالها لاستقبال العائدين ، وراح الأطفال يصعدون شرفات المنازل ، ويتسلقون رؤوس الجبال حتى يروا عودة الآباء والإخوان . . أما « عبدُ المطلب » فقد جلس في دار الندوة متلهفا على ولده « عبد الله » تعتصره أنواع من القلق والهواجس ، ويحاول تهدئة نفسه ، وراح يتطلع إلى أخبار العائدين . . .

وعندما دخلت القافلة مكة أحاط بها الشباب والكهول والنساء ، وارتفعت الزغاريد وعانق كل أب ابنه ، وكل أخت أخاها . . وأخذ « عبدُ المطلب » يتفرس الجميع بحثا عن ولده عبد الله . . . فلم يجده .

تمالك زمام نفسه وسأل عنه . . فقالوا : مريض عند أخواله في يثرب . .

وفي الحال أمر « عبدُ المطلب » ابنه الحارث بالتوجه إلى يثرب ليطمئن على أخيه ويحضره معه حتى يوالى عبدُ المطلب علاجه بنفسه . . وبالفعل توجه الحارث إلى « يثرب » ولكنه ما إن



وَصَلَ إِلَيْهَا حَتَّى رَأَى عِلَامَاتِ الْحَزَنِ وَالْأَسَى تُحِيطُ  
الْجَمِيعَ . . فَعَرَفَ أَنَّ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ . . فَعَادَ إِلَى مَكَّةَ  
زَائِغَ الْعَيْنَيْنِ . . مُنْكَسَّ الرَّأْسِ ، شَارِدَ الذَّهْنِ « لَا يَعْرِفُ  
كَيْفَ يُخْبِرُ أَبَاهُ » . . . وماذا يُمكنُ أن يُقال ؟

وعندما وصل الحارثُ إلى مكةَ كانت شفتاه قد أصابهما  
التشقُّقُ وكان وجهه مُسْوَدًّا وشعره نائرًا وعينه حمرًا و  
زائغتين . فما إن وقعت عيناه عبدَ المطلب عليه ، حتى  
اضطرب اضطرابًا شديدًا ودقَّ قلبه دقاتٍ كادَ يسمعُها وأدركَ  
أن ولده الحبيبَ قد مات . . . ففرَّ إلى الكعبةِ وراح يطوفُ بها  
يضربُ كفًّا على كفٍّ . . بينما راحت الدموعُ تنهمرُ من عَيْنَيْهِ  
وهو يرددُ : فِيمَ إِذْنِ كَانَ الْفِدَاءُ ؟ فِيمَ إِذْنِ كَانَ الْفِدَاءُ ؟  
كَيْفَ . . ؟ كَيْفَ نَجَّى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بِالْأُمِّسِ لِيَتَزَوَّجَ ثُمَّ  
يَمُوتَ ؟ ففِيمَ الْفِدَاءِ إِذْنِ ؟ . . . وفجأةً تذكَّرَ أَمَنَةَ بِنْتَ  
وَهَبٍ ، وكيفَ تنتظرُ عريسَها في شوقٍ كبيرٍ وأخذَ يفكرُ كيفَ  
يُخْبِرُهَا ؟ وماذا يُمكنُ أن يقولَ لها ليواسيها ؟ .

اتَّجَهَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى بَيْتِ أَمَنَةَ وَمَعَهُ بَعْضُ الرِّجَالِ وَعندما  
رَأَتْهُ قَادِمًا لَا تَكَادُ قَدَمَاهُ تَحْمِلُهُ وَالْوَجْهُ مُصْفَرًّا . . مَادَتْ  
الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهَا وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى قَلْبِهَا حَتَّى



## المولد النبوي

خَافَ الْجَمِيعُ عَلَى آمَنَةِ فِي حَمْلِهَا لَشِدَّةِ حُزْنِهَا ، وَلَكِنْ آمَنَةٌ  
لَمْ يَسْتَمِرَّ الْحُزْنَ مَعَهَا طَوِيلًا ، فَقَدْ أَحَسَّتْ بِالسَّكِينَةِ تُسْكِبُ  
فِي قَلْبِهَا ، وَذَاقَتْ طَعْمَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ ،  
وَكَانَتْ كُلَّمَا تَحَسَّسَتْ بَطْنَهَا بِيَدِهَا شَعُرَتْ بِفَرْحَةٍ عَجِيبَةٍ  
تَمْلِكُهَا . . . . بل إن الهواتِفَ كانت تأتِيها بالبُشْرَيَاتِ . .  
وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي سَمِعَتْ وَهِيَ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ هَاتِفًا يَقُولُ  
لَهَا : لَقَدْ حَمَلْتَ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ . . . . ثُمَّ سَمِعَتْ مَرَّةً أُخْرَى  
هَاتِفًا يَقُولُ : لَقَدْ حَمَلْتَ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ ، فَسَمَّهْ مُحَمَّدًا . . .  
وَعِنْدَئِذٍ كَتَمَتْ آمَنَةُ أَمْرَهَا . . . وَخَافَتْ عَلَى جَنِينِهَا مِنَ الْحَسَدِ  
فَلَمْ تُخْبِرْ صُوءِيحِبَاتِهَا . . . وَعِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ وِلَادَتِهَا رَأَتْ فِيهَا  
يَرَى النَّائِمُ أَنَّ نُورًا قَدْ خَرَجَ مِنْهَا فَأَضَاءَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ ، وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَتَاعِبِ الْوِلَادَةِ كَالْأُمَهَاتِ الْأُخْرَيَاتِ .  
وَكَانَ مَلَائِكَةُ كِرَامًا وَأَرْوَاحًا طَيِّبَةً تَحُوطُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . .  
ثُمَّ وَضَعَتْ آمَنَةُ وَلَدًا . . . . وَمِنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ أَنَّهُ كَانَ مَخْتُونًا  
ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ . .  
وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ





والعاشِر من أغسطس سنة ٥٧٠ م ، وكان هذا العامُ هو عامُ  
الفيل .

طَارَ الخبرُ إلى جدِّه عبدِ المطلبِ الَّذِي أَتَى مُسْرِعًا ، وما إنْ  
وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى الطِّفْلِ حَتَّى حَمَلَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ وَحَمَدَ اللَّهَ ( وَرَاحَ  
يَدْعُو اللَّهَ لَهُ ) ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى الكَعْبَةِ وَهُوَ يَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ  
وَيَدْعُو لَهُ وَيَحْمَدُ اللَّهَ .

\* \* \*

كَانَ يَهُودُ يَشْرَبُ يَتَنَبَّئُونَ بِظُهُورِ نَبِيِّ يَهْدِي النَّاسَ إِلَى النُّورِ  
يَنْضَمُّونَ إِلَيْهِ وَيَنْصُرُونَهُ وَيُيَاهَوْنَ بِهِ . . . وَكَانُوا يُرَدِّدُونَ أَنَّ  
هَذَا زَمَانُهُ وَأَنَّهُمْ فِي انتِظَارِ الْيَوْمِ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ .

وَفِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . . .  
سَمِعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ صَوْتًا يَشُقُّ سَكُونَ اللَّيْلِ . . . يُنَادِي . . .  
- يَا مَعْشَرَ يَهُودَ . . . يَا مَعْشَرَ يَهُودَ . . . أَنَا رَاصِدُ النُّجُومِ  
مَحَلُّ ثِقَتِكُمْ بَعْلَمِي وَجَهْدِي . . . اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ . . .  
اللَّيْلَةَ رَأَيْتُمْ نَجْمًا لَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلُ . . . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ  
وَسَأَلُوهُ وَمَا مَعْنَى ذَلِكَ ؟

قَالَ وَهُوَ يَكَادُ يَطِيرُ فَرَحًا وَشَوْقًا .

مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ . . . طَلَعَ  
نَجْمٌ أَحْمَدَ . . . طَلَعَ نَجْمٌ أَحْمَدَ . . .



وراح اليهودي يَمُرُّ على كُلِّ البُيُوتِ لِيَسْأَلَ من وُلِدَ له  
الليلة وَلَدٌ؟ . . . من وُلِدَ له اللَّيْلَةَ وَلَدٌ؟

فخافَ عبدُ المَطْلَبِ على حَفِيدِهِ . . وأرسلَ إلى آمَنَةَ أن  
تَكْتُمَ خَبَرَ ولادَتِهَا . . ولما كان اليومُ السَّابِعُ وهو يومُ العَقِيقَةِ  
عندَ العَرَبِ ، ذَبَحَ عبدُ المَطْلَبِ جَمَلًا وأطعمَ المساكينَ  
والفقراءَ . . . ودَعَا القَوْمَ إلى حَفْلٍ عَشَاءٍ . . وأرادَ عبدُ  
المَطْلَبِ أن يُسَمِّيَ المولودَ « قِثْم » لأنه كان عنده ابنٌ بهذا  
الاسمِ ثم ماتَ وهو ابنُ تِسْعِ سَنَوَاتٍ فقالت له آمَنَةُ :  
- لقد أُمِرْتُ في مَنَامِي أن أُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا . . .

فقال عبدُ المطلب :

- هذا اسمٌ مُبَارَكٌ لِيَحْمَدَهُ اللهُ في السَّمَاءِ ، وَيَحْمَدَهُ الخَلْقُ  
في الأَرْضِ .

نَامَتْ مَكَّةُ كُلُّهَا سَعِيدَةً بِهَذِهِ العَقِيقَةِ ، ولم يَكُنْ أَحَدٌ  
يَدْرِي أن هذا الطفلَ هو دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ ونُبُوءَةُ مُوسَى . . .  
وترنيمَةُ داوودَ . . . وبشارةُ عيسى عليهمُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ  
والتَّسْلِيمِ . . .

فلقد دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ وهو يَبْنِي الكَعْبَةَ . .

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ





رَحِيلِ الْمَرْضِعَاتِ وَقَدْ أَخَذَتْ كُلُّ مِنْهُنَّ طِفْلاً مِنْ أَطْفَالِ  
الْأَغْنِيَاءِ . كَانَتْ هُنَاكَ مَرْضِعَةٌ تُدْعَى « حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة » وَقَدْ  
قَدِمَتْ مِنَ الْبَادِيَةِ وَمَعَهَا زَوْجُهَا وَطِفْلُهَا الرَّضِيعُ . . . وَكَانَ  
مَظْهَرُهَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالْجُوعِ ، وَكَانَ طِفْلُهَا لَا يَكْفُ  
عَنِ الْبُكَاءِ وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ الضَّعْفُ وَالْهَزْأُ . . . أَمَّا زَوْجُهَا فَقَدْ  
جَاءَ مَعَهَا عَلَى نَاقَةٍ ضَامِرَةٍ مُسِنَّةٍ وَقَدْ جَفَّ اللَّبَنُ مِنْ  
ضِرْعِهَا ، فَلَمْ تَشَأْ أَيُّ أُمٍّ أَنْ تُعْطِيَهَا طِفْلَهَا . . . وَعِنْدَمَا هَمَّتِ  
الْقَوَافِلُ بِالْعَوْدَةِ قَالَ زَوْجُ حَلِيمَةَ لَهَا :

- مَا بِأَلْكَ يَا حَلِيمَةُ ؟ لَقَدْ عُذْتُ وَحَدَكِ بِلَا طِفْلٍ . .

قَالَتْ : هَذَا هُوَ حَظِّي لَقَدْ رَفَضَ السَّادَةُ إِعْطَائِي أَطْفَالَهُمْ  
اللَّهُمَّ إِلَّا أَرْمَلَةً صَغِيرَةً . . . وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ آخُذَ وَلِيدَهَا  
فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ تَدْفَعَ لَنَا أَرْمَلَةً ؟

ثُمَّ طَأْطَأَتْ حَلِيمَةُ رَأْسَهَا وَقَالَتْ : وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ قَلْبِي  
قَدْ تَعَلَّقَ بِهَذَا الْيَتِيمِ مُنْذُ أَنْ وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهِ . . . هَلْ تُصَدِّقُ  
أَنْ تَذِييَ قَدْ حَنَّ إِلَيْهِ ؟

قَالَ لَهَا زَوْجُهَا الْحَارِثُ :

- إِذْنِ اذْهَبِي فَخُذِيهِ لَعَلَّ اللَّهَ يُبَارِكُ لَنَا فِيهِ .

وَمَا إِنَّ سَمِعَتْ حَلِيمَةُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى أَسْرَعَتْ وَطَلَبَتْ



الطُّفْلَ من « آمِنَةٌ » فَأَعْطَتْهُهَا . . . وما إِنِ حَمَلَتْ حَلِيمَةً  
مُحَمَّدًا بين يديها ، حتى صَمَتَ صُرَاخُ طِفْلِهَا . . . فقالت  
حَلِيمَةُ : مَا دَامَ ابْنِي قَدْ هَدَا فَلَا رُضِيعَ مُحَمَّدًا أَوَّلًا . . . وما  
إِنِ وَضَعْتُ ثَدْيِي فِي فَمِهِ حَتَّى تَدْفَقَ اللَّبَنُ غَزِيرًا ، فَشَرِبَ  
مُحَمَّدٌ حَتَّى ارْتَوَى ، ثُمَّ أَخَذَتْ ابْنَهَا وَأَرْضَعَتْهُ حَتَّى ارْتَوَى هُوَ  
الْآخِرُ . . . فشعرت بالجوع فَسَأَلَتْ زَوْجَهَا أَنْ يُحَاوَلَ حَلَبَ  
ضِرْعِ النَّاقَةِ . . . . .

فَمَا كَادَ الْحَارِثُ يُمَسِّكُ بِالضِرْعِ حَتَّى انْهَمَرَ مِنْهُ اللَّبَنُ  
بَشْدَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مِثِيلٌ . . . فَشَرِبَ وَشَرِبَتْ حَلِيمَةُ حَتَّى  
ارْتَوَيَا . . . وَهَمَسَ الْحَارِثُ إِلَى زَوْجَتِهِ قَائِلًا :

هَلْ تَشْعُرِينَ كَمَا أَشْعُرُ . . . إِنَّا قَدْ أَخَذْنَا نِسْمَةً مُبَارَكَةً ؟  
فَكَتَمَتْ حَلِيمَةُ فَرْحَتَهَا وَضَمَّتْ مُحَمَّدًا إِلَى صَدْرِهَا  
وَقَالَتْ :

- أَشْعُرُ بِذَلِكَ مِنَ اللَّحْظَةِ الْأُولَى . .

وَانْطَلَقَ الرُّكْبُ . . . فَإِذَا بِحِمَارِ حَلِيمَةَ الْهَزِيلِ الَّذِي كَانَ  
مَوْضِعَ سَخْرِيَةِ صَاحِبَاتِهَا . . . يَجْرِي حَتَّى سَبَقَ الرُّكْبَ  
كُلَّهُ . . . وَإِذَا بِنَاقَةِ زَوْجِهَا يَشْتَدُّ عَوْدُهَا فَتَنْطَلِقُ كَالسَّهْمِ  
حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْمَشْهُدُ مِثَارَ حَدِيثِ أَهْلِ الْقَافِلَةِ كُلِّهَا . . .



## فِي الْبَادِيَةِ

انْهَالَتْ الْبَرَكَاتُ وَالْخَيْرَاتُ عَلَى حَلِيمَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِبَرَكَهٍ  
هَذَا الْيَتِيمَ . . . أَغْنَاهُمَا الْعِجَافُ النَحِيفَةُ صَارَتْ نَشِيطَةً  
تَرْوَحُ وَتَجِيءُ فِي الْمَرَاعِي وَقَدْ امْتَلَأَتْ لَحْمًا وَلَبَنًا . . . حَتَّى أَنَّ  
بَقِيَّةَ الْقَبَائِلِ ظَنَّتْ أَنَّ حَلِيمَةَ تُرْسِلُ أَغْنَامَهَا إِلَى مَرَاعٍ خَاصَّةٍ  
لَا تُخْبِرُ بِهَا الْقَوْمَ ، فَأَمَرُوا صِبْيَانَهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا بِأَغْنَامِهِمْ إِلَى  
حَيْثُ تَذْهَبُ أَغْنَامُ حَلِيمَةَ . أَمَّا ابْنُ حَلِيمَةَ فَقَدْ أَصْبَحَ  
يَرْضَعُ بِهَدُوءٍ وَيَنْمُو جِسْمُهُ بِسُرْعَةٍ . . . فَكَانَتْ حَلِيمَةُ تَرُدُّ  
هِيَ وَزَوْجَهَا أَنَّ هَذَا الْيَتِيمَ نِعْمَةٌ وَبَرَكَهٌ . . . لَا تُعَادِلُهَا بَرَكَهٌ وَأَنَّ  
فِيهِ سِرًّا لَا يُحِطُّهُ ذُو بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ .



وَعِنْدَمَا بَلَغَ مُحَمَّدٌ الْعَامَيْنِ كَانَ عَلَى حَلِيمَةَ أَنْ تَقْطِعَ  
وَتُسَلِّمَهُ إِلَى أُمِّهِ . . . وَلَكِنَّ حَلِيمَةَ كَانَتْ قَدْ ارْتَبَطَتْ بِهَذَا  
الطِّفْلِ وَتَعَلَّقَ قَلْبُهَا بِهِ . . . وَلَمْ تَتَصَوَّرْ فِرَاقَهُ . . . وَرَاحَتْ  
تُجَاهِدُ نَفْسَهَا وَتَعُدُّ الْعُدَّةَ لَتَسْلِمِيهِ إِلَى أُمِّهِ فِي مَكَّةَ . .  
وَلَا حِظَّتْ أَنَّ زَوْجَهَا يُعَانِي نَفْسَ الْمَشَاعِرِ . . . لَكِنْ لَا حِيلَةَ  
لَهَا ، فَقَدْ بَلَغَ الطِّفْلُ عَامَيْنِ اثْنَيْنِ وَتَمَّ فِطَامُهُ . . . ذَهَبَتْ  
حَلِيمَةُ وَمَعَهَا مُحَمَّدٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَمَا إِنَّ وَقَعَتْ عَيْنَا أُمِّهِ آمِنَةً

عليه حتى انطلقت تحتضنه وتمطره بقبلاتها وتعجبت من شكله وهيئته وقالت لحليمة :

كيف أصبح محمد بعد عامين وكأنه ابن أربعة أعوام ؟  
قالت حليمة :

- إن هواء الصحراء النقي .. وسكون المكان ..  
واعتدال المناخ هو الذي ساعد في نموه سريعاً .  
ثم أطرقت قليلاً وقالت راجية :

- ليتك تتركينه لي سنتين .. إني أخاف عليه من انتشار  
الوباء في مكة .. خافت أمانة على صغيرها . . . وضمته إلى  
صدرها ثم قالت :

- فليمكث معنا بضعة أيام ، ثم يعود معك إلى البادية  
حتى يشتد عوده ويقوى ويكون الوباء قد ذهب من مكة ..  
فرحت حليمة وقرت عينها . . . وبعد أيام عادت به إلى  
البادية .



## الشَّيْمَاءُ

فَرِحَتْ الشَّيْمَاءُ بِنْتُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ بِعَوْدَةِ مُحَمَّدٍ  
 الْبَادِيَةِ ، وَفَرِحَ الطِّفْلُ مُحَمَّدٌ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْفَضَاءِ الَّذِي لَهَا  
 لَهُ . . . وَكَانَ قَدْ أَلْفَ الْبَسَاطَةَ وَالْحُرِّيَّةَ وَالْإِنْطِلَاقَ حَيْثُ كَانَتْ  
 أُخْتُهُ الشَّيْمَاءُ تَأْخُذُهُ مَعَهَا إِلَى الْمَرَاغَى وَتَتْرُكُهُ يُلَاعِبُ الْحَرَّ  
 وَالنَّعَاجَ وَيَجْرِي خَلْفَهَا بِعَصِيٍّ صَغِيرَةٍ . . . بَيْنَمَا تَغُوصُ قَدْ  
 الصَّغِيرَتَانِ فِي الرَّمَالِ . . . فَيَقِفُ وَيَسْقُطُ وَكُلَّمَا جَرَى خَلَا  
 الْخِرَافِ جَرَتْ أَمَامَهُ فَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ ضَاحِكًا بَرَا  
 فَتَفْتَحُ الشَّيْمَاءُ ذِرَاعَيْهَا لَهُ لَكِنِّي يَرْتَمِي بَيْنَ أَحْضَانِهَا فَتُضَمُّهُ  
 صَدْرُهَا وَتَدُورُ بِهِ حَتَّى تَزِيدَ مِنْ ضَحِكَاتِهِ . . . وَإِذَا اشْتَدَّ  
 حَرَارَةُ الشَّمْسِ أَجْلَسَتْهُ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَرَاحَتْ تَبْنِي لَهُ بِرُ  
 مِنْ الرَّمَالِ وَالْحَصَى وَهُوَ يَرِاقِبُهَا مَسْرُورًا بِقُدْرَتِهَا سَعِيدًا بِأَلْهِ  
 وَالْحُرِّيَّةِ . . . وَتَبْدَأُ هِيَ فِي مُنَاوَلَتِهِ مَا لَدَّ وَمَا طَابَ مِنَ الْأُ  
 وَكَسَرَ الْخُبْزِ وَاللَّبَنِ . . . فَيَأْكُلُ بِشَهِيَّةٍ هُوَ وَأُخُوهُ وَعِنْدَمَا تَز  
 الشَّمْسُ فِي الْغُرُوبِ يَتَّجُهُ الرُّكْبُ عَائِدًا إِلَى الْبَيْتِ . . . حَتَّى  
 تَكُونُ حَلِيمَةُ فِي انْتِظَارِهِمْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَخَاءَ  
 عَلَى مُحَمَّدٍ الَّذِي كَانَ قَلْبُهَا مَشْدُودًا إِلَيْهِ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ





## شق الصدر

كَانَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ مُرْضِعَةً مُحَمَّدٍ شَدِيدَةَ الْخَوْفِ  
وَاللَّهْفَةِ عَلَيْهِ ، كَانَتْ تَشْعُرُ أَنَّهُ طِفْلٌ لَيْسَ كَبَقِيَّةِ الْأَطْفَالِ . .  
فِيهِ بَرَكَةٌ . . فِيهِ شَيْءٌ مَا لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تُعَبِّرُ عَنْهُ . . وَهَذَا  
الشَّيْءُ يُجْعَلُهَا شَدِيدَةَ التَّعَلُّقِ بِهِ وَالْحَرِصِ عَلَيْهِ . . كَانَتْ  
تُلاحِظُهُ بِعَيْنَيْهَا دَائِمًا . . وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ مَعَ إِخْوَتِهِ لِرَعْيِ الْغَنَمِ  
تَشْعُرُ بِالْخَوْفِ وَتَظَلُّ تَرْقُبُ لَحْظَةً وَصُورَهُ إِلَى الْبَيْتِ . . .  
وَأَحْيَانًا كَانَتْ لَا تَطِيقُ صَبْرًا فَتَنْطَلِقُ إِلَى الْمَرَاعِي . . وَمَا إِنْ  
تَقَعَّ عَيْنَاهَا عَلَيْهِ حَتَّى تَهْدَأَ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى بَيْتِهَا لِإِعْدَادِ الطَّعَامِ ،  
وِظَلَّ الْحَالُ هَكَذَا إِلَى أَنْ بَلَغَ أَرْبَعَ سِنِينَ ، وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ  
بَيْنَمَا كَانَتْ تَقُومُ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ الْمَنْزِلِيَّةِ أَقْبَلَ عَلَيْهَا وَلَدُهَا  
صَائِحًا : أَخِي الْقُرْشِيُّ قُتِلَ . . . أَخِي الْقُرْشِيُّ قُتِلَ . . .  
فَانْخَلَعَ قَلْبُ حَلِيمَةٍ وَسَأَلَتْهُ بِأَنْفَاسٍ مَخْنُوقَةٍ كَيْفَ ؟ وَأَيْنَ ؟ ثُمَّ  
انْطَلَقَتْ إِلَى الْمَرَاعِي وَهِيَ تَصِيحُ وَلَدِي . . وَلَدِي مَاذَا بَكَ ؟  
أَأَنْتَ حَيٌّ ؟ أَأَنْتَ بِخَيْرٍ ؟ وَرَاحَتْ تُقَلِّبُ فِيهِ كَالْمَجْنُونَةِ  
وَتَبْكِي . . فَقَالَ لَهَا الطِّفْلُ : لَا شَيْءَ يَا أُمَّاه . . لَا شَيْءَ . .  
غَيْرَ أَنَّ . . قَالَتْ مَلْهُوفَةً : غَيْرَ أَنَّ مَاذَا ؟ . . . مَاذَا جَرَى ؟



قَالَ لَهَا : بَيْنَمَا كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ وَنَتَقَاذِفُ الْبَعْرُ  
 أَتَانِي جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ . . ثَلَاثَةُ أَنْفَارٍ يَلْبَسُونَ مَلَابِسَ  
 بَيْضَاءَ ، وَكَانَ مَعَهُمْ طِسْتُ يَلْمَعُ فِيهِ ثَلَجٌ ، وَقَدْ أَخَذَنِي وَاحِدٌ  
 مِنْهُمْ وَأَرْقَدَنِي عَلَى الْأَرْضِ وَشَقَّ صَدْرِي حَتَّى آخِرَ بَطْنِي ثُمَّ  
 أَخْرَجَ أَحْشَائِي وَغَسَلَهَا بِالثَّلَجِ ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ بَطْنِي . . . ثُمَّ  
 جَاءَ الرَّجُلُ الثَّانِي ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ خَاتَمًا كَأَنَّهُ النُّورُ خَتَمَ بِهِ عَلَى  
 قَلْبِي . . أَمَّا الرَّجُلُ الثَّلَاثُ فَأَغْلَقَ الشَّقَّ الَّذِي فِي صَدْرِي  
 وَبَطْنِي ، قَالَتْ الْأُمُّ فِي ذُحُولٍ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ أَخَذُوا  
 يَزِنُونَنِي عَلَى مِيزَانٍ مَرَّةً بَعَشْرَةَ أَنْفَارٍ ، وَمَرَّةً بِمِائَةِ نَقَرٍ ثُمَّ قَالُوا  
 كَلَامًا عَجِيبًا . . قَالُوا : إِنْنِي لَوْ وَزَنُونِي بِالنَّاسِ جَمِيعًا  
 لَرَجَحْتُهُمْ . . ثُمَّ تَرَكُونِي وَأَنْصَرَفُوا الْآنَ فَقَطْ . . انْظُرِي يَا أُمُّهُ  
 إِنَّهُمْ يَنْصَرِفُونَ . . نَظَرْتُ حَلِيمَةً إِلَيْهِ جَزَعَةً فَرِيعَةً وَظَنَنْتُ أَنَّهُ  
 يَهْدِي ، وَرَاحَتْ تَجُسُّهُ بِيَدِهَا فَقَالَ لَهَا النَّاسُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا  
 حَوْلَهَا : لَا شَكَّ أَنَّ الطِّفْلَ قَدْ أَصَابَهُ مَسٌّ مِنَ الْجِنِّ . . لَا بُدَّ  
 أَنْ تَذْهَبِي بِهِ إِلَى كَاهِنِ الْيَهُودِ حَتَّى يُدَاوِيَهُ . . وَنَظَرْتُ  
 حَلِيمَةً إِلَى مُحَمَّدٍ فَلَمْ تَرَ أَثَرًا لِشَقِّ صَدْرِهِ أَوْ بَطْنِهِ . . فَبَكَتْ  
 عَلَى طِفْلِهَا الْحَبِيبِ الَّذِي أَصَابَهُ مَسٌّ مِنَ الْجِنِّ وَانْطَلَقَتْ بِهِ  
 إِلَى الْكَاهِنِ .



وَقَالَ الْكَاهِنُ : دَعُوا الطِّفْلَ يَتَكَلَّمْ حَتَّى أَفْهَمَ مِنْهُ هُوَ . .  
 وَرَاحَ مُحَمَّدٌ يَحْكِي لِلْكَاهِنِ كُلَّ مَا جَرَى لَهُ . . . وَفَجْأَةً  
 انْتَفَضَ الْكَاهِنُ وَاقْفًا وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ . . . يَا لِلْعَرَبِ . .  
 يَا لِلْعَرَبِ . . . اقْتُلُوا هَذَا الْغُلَامَ . . اقْتُلُوا هَذَا الْغُلَامَ . .  
 يَا الضَّيْعَةَ الْيَهُودِ . . . يَا لَخَسَارَةِ الْيَهُودِ . . لَنْ تَرَكْتُمْ هَذَا  
 الْغُلَامَ لِيَذَلَّ الْيَهُودَ . . . وَلَيَأْتِيَنَّ بِيَدَيْنِ جَدِيدٍ . . وَجَذَبَ  
 الْكَاهِنُ الصَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَحَاوَلَ أَنْ يَخْنُقَهُ . . . فَاثْبَتَتْ حَلِيمَةُ  
 بِكُلِّ قُوَاهَا تُخَلِّصُ ابْنَهَا . . . وَانْتَرَعَتْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ الْكَاهِنِ  
 بِصُعُوبَةٍ . . وَفَرَّتْ بِهِ عَائِدَةً إِلَى بَيْتِهَا ، وَهِيَ مَذْعُورَةٌ  
 تَرْتَجِفُ . . . بَيْنَمَا سَقَطَ الْكَاهِنُ عَلَى الْأَرْضِ فِي حَالَةٍ أَشْبَهَ  
 بِالصَّرَعِ . . وَهُوَ يُرَدِّدُ يَا لَضَيْعَةِ يَهُودَ . . . يَا لَضَيْعَةِ يَهُودَ .  
 عَادَ الطِّفْلُ إِلَى بَيْتِ حَلِيمَةَ مُفْرَعِ الْفُؤَادِ . . بَيْنَمَا رَاحَتْ  
 حَلِيمَةُ تُقْسِمُ أَغْلَظَ الْأَيْمَانِ أَنَّهَا لَا وَلَنُ تُخْرِجَ مُحَمَّدًا خَارِجَ  
 الْمَنْزِلِ قَطُّ وَأَنَّهُ سَيَظَلُّ مَحْبُوسًا حَتَّى تَحْضُرَ أُمُّهُ لِاسْتِئْلَامِهِ . . .  
 وَبَاتَتْ حَلِيمَةُ وَاجِفَةً الْقَلْبِ مَهْزُوزَةً الْأَعْصَابِ مُتَخَوِّفَةً مِنْ  
 كُلِّ شَيْءٍ وَرَاحَتْ تَسْتَرْجِعُ هِيَ وَزَوْجُهَا مَا رَوَاهُ الطِّفْلُ . .  
 وَمَا جَرَى لِلْكَاهِنِ حِينَ سَمِعَ الطِّفْلَ . . وَازْدَادَ خَوْفُهَا ثُمَّ  
 قَرَّرَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا إِعَادَةَ الطِّفْلِ إِلَى أُمِّهِ فِي مَكَّةَ . . وَتَحَرَّكَ  
 الثَّلَاثَةُ تَحْتَ ظِلَامِ اللَّيْلِ مُتَّجِهِينَ إِلَى بَيْتِ آمِنَةَ . . وَعِنْدَمَا  
 رَأَتْهُمْ آمِنَةُ تَعَجَّبَتْ وَسَأَلَتْهُمَا لِمَاذَا أَحْضَرْتُمَا الصَّبِيَّ ؟



قَالَتْ حَلِيمَةُ . . لا شَيْءَ لَقَدْ بَلَغَ الرَّابِعَةَ مِنْ عَمْرِهِ . .  
وَقَدْ سَبَقَ أَنْ اتَّفَقْتُ عَلَى رَدِّهِ حِينَ يَبْلُغُ الرَّابِعَةَ . . وَهَذَا هُوَ  
ابْنُكَ سَلِيماً مُعَافَى أَمَامَكَ . . .  
قَالَتْ آمِنَةُ : لا وَ اللّهِ إِنَّ فِي الْأَمْرِ شَيْئاً تُخْفِيَانِهِ . .  
وَرَأَيْتَ تَرْجُوهُمَا أَنْ يَقْضَا عَلَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ . . .  
وَحَكَتْ حَلِيمَةُ كُلَّ مَا حَدَّثَ بِالضَّبْطِ . . فَكَرَعَتْ آمِنَةُ  
عَلَى رُكْبَتَيْهَا أُمَامَ الصَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَاحْتَضَنْتَهُ وَقَالَتْ :  
« وَاللّهِ إِنَّهُ لَكَائِنْ لَوْلَدِي هَذَا شَأْنٌ وَأَيُّ شَأْنٍ » .



## موت آمنّة

عاش مُحَمَّدٌ فِي مَكَّةَ بَيْنَ أَحْضَانِ أُمِّهِ الَّتِي غَمَرَتْهُ بِالْحُبِّ  
وَالْحَنَانِ . . . وَبَدَأَ يَتَذَوَّقُ الْحَيَاةَ فِي مَكَّةَ . . . وَيَنْظُرُ إِلَى الْبُيُوتِ  
الْمُتَلَاصِقَةِ الْمَبْنِيَّةِ بِالْحِجَارَةِ . . . وَالنَّاسِ الْمَتَرَاكِحِينَ بِاللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ . . . وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّبْعِ يَتَمَتَّعُ بِحُرِّيَّةِ الْخُرُوجِ إِلَى الْهَوَاءِ  
حَيْثُ الْإِنْطِلَاقِ فِي الْمَرَاعِي وَالْبَسَاتِينِ كَمَا كَانَ الْحَالُ فِي  
يَثْرِبَ . . . بَلْ كَانَ يَخْرُجُ مَعَ أُمِّهِ لِشِرَاءِ بَعْضِ الْحَاجَاتِ وَهِيَ  
تُمْسِكُ بِيَدِهِ الصَّغِيرَى وَتَضْغُطُّ عَلَيْهَا حَتَّى لَا يَنْفَلِتَ مِنْهَا فِي  
الزَّحَامِ . . . وَكَانَتْ أُمُّهُ تُشِيرُ بِيَدِهَا إِلَى مَعَالِمِ مَكَّةَ . . . فَهَذِهِ  
هِيَ الْكَعْبَةُ الَّتِي يَحُجُّ إِلَيْهَا النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامٍ مِنْ  
كُلِّ مَكَانٍ ، وَهَذَا هُوَ صَحْنُ الْكَعْبَةِ . . . وَهَذِهِ زَمْرَمُ . . .  
وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْحَاجِجُ يَمْلَأُونَ الْأَسْوَاقَ بِالسَّلْعِ وَالْبَضَائِعِ . . .  
وَكَانَ مُحَمَّدٌ يُتَابِعُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَتَأَمَّلُ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ . . . وَالْأَلْوَانَ  
الْبَضَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ . . . وَهُوَ مَشْدُودٌ مُتَنَبِّهٌ كَأَنَّمَا يُسَجِّلُ كُلَّ  
شَيْءٍ . . .

وَعِنْدَمَا بَلَغَ السَّادِسَةَ مِنْ عُمرِهِ كَانَ الْجَمِيعُ قَدْ تَعَلَّقَ بِهِ ،  
جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ . . . وَعَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ . . . وَحَاضِنَتُهُ الْأُولَى



أُمُّ أَيِّمَنَ . . . وَقَدْ كَانَتْ جَارِيَةً أَبِيهِ فَوَرَّتَهَا آمِنَةً وَأَطْفَالَ  
الْجِيرَانِ . . . وَبَدَأَ يَلْحَظُ الصَّبِيَّ مُحَمَّدٌ أَنَّ لِكُلِّ طِفْلٍ أَبًا  
يُنَادِيهِ الْابْنُ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ وَيَحْكِي عَنْهُ . . . وَسَأَلَ أُمُّهُ ذَاتَ يَوْمٍ :  
هَلْ لِي أَبٌ كَبَقِيَّةِ الْأَطْفَالِ ؟ . . . وَتَرَفَّرَتْ دُمُوعُ آمِنَةَ . .  
وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ أَكْثَرَ السُّؤَالَ فِي هَذَا الْأَمْرِ . . . فَلَمْ تَجِدْ بُدًّا  
مِنْ مُوَاجَهَةِ الْمَوْقِفِ فَقَالَتْ : نَعَمْ كَانَ لَكَ أَبٌ . . . أَبٌ  
عَظِيمٌ . . . ثُمَّ . . . قَالَ لَهَا : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَتْ : ثُمَّ  
مَاتَ . . . وَلَمْ يَفْهَمْ الطِّفْلُ تَمَامًا الْمَقْصُودَ بِكَلِمَةِ مَاتَ  
فَقَرَّرَتْ الْأُمُّ الذَّهَابَ إِلَى يَثْرِبَ لِزِيَارَةِ قَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ وَلِيَتَعَرَّفَ  
الصَّبِيُّ عَلَى أَخْوَالِهِ . وَعِنْدَمَا دَخَلَتْ آمِنَةُ يَثْرِبَ . . . وَطَارَ  
خَبْرُ وُصُولِهَا وَمَعَهَا ابْنُهَا مُحَمَّدٌ وَالْجَارِيَةُ أُمُّ أَيِّمَنَ . . . وَخَرَجَ  
بَنُو النِّجَارِ يُرْحَبُونَ بِهِمْ وَرَاحَ كُلُّ مِنْهُمْ يَحْتَضِنُ مُحَمَّدًا وَيُحَاوِلُ  
إِكْرَامَهُ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ . . . فَأَنَسَ لَهُمْ مُحَمَّدٌ . . . وَعَاشَ بَيْنَهُمْ  
شَهْرًا يَلْعَبُ مَعَ أَطْفَالِهِمْ فِي الْحَدَائِقِ الْجَمِيلَةِ وَالْبَسَاتِينِ ذَاتِ  
النَّخِيلِ وَالزُّهُورِ . . . وَرَأَى قُصُورَ يَثْرِبَ الشَّاهِقَةِ وَشَرِبَ مِنْ  
مِيَاهِهَا الْعَذْبَةِ وَلَعِبَ مَعَ الْجَارِيَةِ أَنْيَسَةَ وَمَعَ أَوْلَادِ أَخْوَالِهِ لُغْبَةَ  
الطَّائِرِ وَسَمِعَ أَجْمَلَ الْقَصَصِ فِي دَارِ النَّابِغَةِ وَتَعَلَّمَ السَّبَاحَةَ فِي  
بَيْتِ بَنِي عَدِيٍّ بِنِ النَّجَّارِ . . . وَانْطَلَقَتْ مَشَاعِرُهُ فِي هَذَا الْجَوْ  
الْحَنَانِيِّ الْوَدُودِ ، وَأَحَبَّ أَهْلَ يَثْرِبَ وَاسْتَشَفَّ طِيبَ عُنْصَرِهِمْ  
وَلَمْ يَنْسَهُمْ قَطْ .



وفي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَتْ آمِنَةُ لِمُحَمَّدٍ . . . الْيَوْمَ سَنَذْهَبُ  
 لَزِيَارَةِ قَبْرِ أَبِيكَ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ نَزَحَلُ إِلَى مَكَّةَ . . . وَذَهَبَ  
 الْغُلَامُ مُحَمَّدٌ إِلَى قَبْرِ أَبِيهِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَاهُ ، وَلَكِنَّهُ  
 وَجَدَ أُمَّهُ تَقِفُ أَمَامَ مُرْتَفَعٍ مِنَ التُّرَابِ وَتُلْقِي بِنَفْسِهَا عَلَيْهِ  
 وَتَنْخَرِطُ فِي بُكَاءٍ عَمِيقٍ وَهِيَ تَحْتَضِنُ التُّرَابَ وَتُقَبِّلُهُ . . .  
 فَخَفَقَ قَلْبُ الصَّبِيِّ شَوْقًا لِلْأَبِ وَرَحْمَةً بِالْأُمِّ الْأَرْمَلَةِ  
 الْحَزِينَةِ . . . وَرَاحَ الْقَوْمُ يُوَاسُونَهَا وَيُعَزُّونَهَا . . . وَتَتَعَثَّرُ  
 الْكَلِمَاتُ . . . وَتَحْتَنُقُ الْعِبْرَاتُ بِالْبُكَاءِ عَلَى فَقْدِ عَبْدِ اللَّهِ . .  
 وَرَاحَ مُحَمَّدٌ يَدُقُّ النَّظَرَ فِي التُّرَابِ عَلَيْهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَرِقَ هَذِهِ  
 الْأَكْوَامَ وَيَرَى أَبَاهُ . . . ثُمَّ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَحَانَ وَقْتُ  
 الرَّحِيلِ . . . فَوَدَّعَ الْجَمِيعُ آمِنَةَ . . . وَرَكِبَ الثَّلَاثَةُ عَلَى  
 النَّاقَةِ . . . وَكَانَتْ آمِنَةُ قَدْ تَهَالَكَتْ . . . وَشَعَرَ الْغُلَامُ أَنَّ أُمَّهُ  
 لَا تَسْتَطِيعُ تَرْكَ الْمَكَانِ . . . وَأَنَّهَا تَرَكَتْ قَلْبَهَا هُنَاكَ عَلَى قَبْرِ أَبِيهِ  
 وَعَادَتْ جَسَدًا شَاحِبًا بِلَا حَيَاةٍ . . . وَفِي الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ  
 كَانَتْ آمِنَةُ شَارِدَةً الذَّهْنِ فِي مَلَكُوتٍ آخَرَ . . . لَا تَأْكُلُ . .  
 وَلَا تَشْرَبُ . . . وَلَا تَتَكَلَّمُ كَأَنَّ رُوحَهَا قَدْ سَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ فِي  
 قَبْرِهِ . . . وَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّبِيُّ مُحَمَّدٌ أَنْ يَدْخُلَ الْفَرَحَةَ عَلَى قَلْبِ  
 أُمَّهُ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ لِأَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِهَا وَيُحْسِسُ  
 أَلَامَهَا . . . فَلَمْ يَلْعَبْ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ ظَلَّتْ عَيْنَاهُ تَرْقُبَانِ



السَّمَاءَ فِي عُلُوِّهَا وَالصَّحْرَاءَ فِي اتِّسَاعِهَا وَأُمُّهُ الشَّاحِبَةُ  
السَّارِحَةِ، وَرَاحَ يُفَكِّرُ فِي أَبِيهِ أَيْنَ ذَهَبَ؟ وَلِمَاذَا ذَهَبَ؟ وَهَلْ  
لَهُ أَنْ يَرَاهُ وَلَوْ مَرَّةً؟ وَهَلْ؟ وَهَلْ؟ وَانْتَبَهَ مُحَمَّدٌ عَلَى شَهَقَةٍ مِنْ  
أُمِّهِ الَّتِي فَاجَأَهَا الْمَوْتُ فِي الطَّرِيقِ . . . وَرَأَى وَجْهَهَا وَقَدْ  
تَغَيَّرَ لَوْنُهُ . . . وَلَمَسَ جِسْمَهَا فَوَجَدَهُ بَارِدًا . . . وَلَمْ يَصْرَخِ  
الطِّفْلُ وَلَمْ تُدْرِكْ أُمُّ أَيْمَنَ حَالَةَ الطِّفْلِ وَسَطَ هَذِهِ الْمَأْسَةِ  
فَتَنَحَّيَهُ عَنِ الْمَكَانِ . . . بَلْ رَأَى وَهُوَ فِي هَذِهِ السَّنِّ الصَّغِيرَةِ  
مَشْهَدَ الدَّفْنِ كَامِلًا . . . فَقَدْ دُفِنَتْ أَمِنَةُ أَمَامَ عَيْنَيْ مُحَمَّدٍ  
عِنْدَ قَرْيَةِ (الْأَبْوَاءِ) وَتَنَبَّهَتْ كُلُّ حَوَاسِّهِ وَأَدْرَكَ الطِّفْلُ فِي هَذَا  
السَّنِّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ . . . وَكَيْفَ تَنْتَهِي بِالْمَوْتِ وَكَيْفَ يُحْرَمُ  
الْإِنْسَانُ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ بِلا حَوْلٍ وَلَا قُوَّةَ لَهُ . . . وَعَادَ الْيَتِيمُ  
إِلَى مَكَّةَ وَقَدْ تَحَجَّرَتِ الدُّمُوعُ فِي مُقْلَتَيْهِ ، وَمَرَارَةُ الْحَسْرَةِ  
وَالْأَسَى فِي حَلْقِهِ . . . وَقَدْ بُحَّ صَوْتُهُ فَلَمْ يَعُدْ يَتَحَدَّثُ . . .  
وَشَعَرَ بِفَقْدِ الْأُمِّ مَنَبِعِ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ . . . وَحَاوَلَتْ  
(أُمُّ أَيْمَنَ) أَنْ تَمْسَحَ عَنْهُ الْحُزْنَ فَرَاخَتْ تَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا  
وَتَرَبُّتُ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا كَانَ وَاجِبًا غَارِقًا فِي  
مَأْسَاتِهِ لَا يَشْعُرُ بِأَحَدٍ حَتَّى وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى جَدِّهِ يَأْتِي  
مُهِرًا وَلَا يَفْتَحُ كِلْتَا يَدَيْهِ لِلصَّبِيِّ الَّذِي أَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي حُضْنِ  
جَدِّهِ ثُمَّ انْفَجَرَ فِي الْبُكَاءِ .





## مُحَمَّدٌ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

عاش مُحَمَّدٌ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَعَظِيمِهَا ،  
وَحَاوَلَ الْجَدُّ تَعْوِيضَ مُحَمَّدٍ عَنِ فَقْدِ وَالِدَيْهِ فَأَغْدَقَ عَلَيْهِ  
الْحُبَّ وَالْحَنَانَ وَالرَّعَايَةَ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ مِنْ تَقَالِيدِ الْعَرَبِ أَنْ  
يَحْتَرِمُوا الْآبَاءَ وَيُجْلِسُوهُمْ فَلَا يَجْلِسُ الابْنُ بِجِوَارِ أَبِيهِ عَلَى فِرَاشٍ  
وَاحِدٍ إِلَّا إِذَا بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ . . . وَكَانَ هَذَا الْأَدَبُ سَائِدًا  
فِي قُرَيْشٍ . . . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ أَنْ  
يَجْلِسَ عَلَى فِرَاشٍ خَاصٍّ بِهِ بِجِوَارِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ يَجْلِسُ  
حَوْلَهُ كُتُبَاءُ الْقَوْمِ يُنَاقِشُونَهُ أَهَمَّ الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ إِجْلَالًا وَاحْتِرَامًا .

وَعِنْدَمَا كَانَ يَأْتِي مُحَمَّدٌ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ مِنْ عُمُرِهِ مُقْبِلًا  
عَلَى جَدِّهِ وَكَانَ جِسْمُهُ صَحِيحًا وَشَخْصِيَّتُهُ وَاضِحَةً الْمَعَالِمِ ،  
كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَهْشُ لَهُ ( أَيْ يُرَحِّبُ وَيَبْتَسِمُ ) وَيَفْتَحُ كُلَّمَا  
يَدَيْهِ لِحْفِيدِهِ وَيُجْلِسُهُ بِجِوَارِهِ عَلَى نَفْسِ الْفِرَاشِ . . . وَكَانَ  
بَعْضُ الْأَعْمَامِ يُحَاوِلُ تَأْخِيرَ مُحَمَّدٍ أَوْ تَنْحِيَّتَهُ عَنِ الْفِرَاشِ ،  
وَلَكِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ : دَعُوا ابْنِي إِنَّهُ لَيُؤْنَسُ  
مُلُكًا . . . أَيْ أَنَّ أُنْسَهُ يُغَطِّي مُلُكًا بِالْكَامِلِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ



عَلَى مُنْتَهَى الرِّضَا . . . ثُمَّ يَظَلُّ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ يَمْسَحُ عَلَى ظَهْرِ  
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ . . . بَلْ كَانَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ لَا يَهْنَأُ لَهُ طَعَامٌ  
إِلَّا إِذَا نَادَى عَلَى مُحَمَّدٍ لِيَأْكُلَ مَعَهُ .

لَمْ يَكُنْ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ يُحِبُّ مُحَمَّدًا فَقَطْ لِأَنَّهُ حَفِيدُهُ  
الْيَتِيمُ . . . بَلْ كَانَ شَدِيدَ الْإِعْجَابِ بِهِ وَبِتَصَرُّفَاتِهِ ، فَعَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ لَمْ يَكُنْ مُتَهَافِتًا عَلَى الطَّعَامِ كَبَقِيَّةِ  
الْأَطْفَالِ ، وَلَمْ تَكُنْ يَدُهُ تَطِيشُ فِي الْأَطْبَاقِ ، بَلْ كَانَ يَأْكُلُ مِمَّا  
يَلِيهِ بِطَرِيقَةٍ مُهَذَّبَةٍ ، وَلَا يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى يَمُدَّ الْكَبِيرُ يَدَهُ . . . وَلَمْ  
يَكُنْ يُسِيءُ إِلَى الْمَكَانِ بِفَضَلَاتِ طَعَامٍ مُتَنَاشِرٍ . . . بَلْ كَانَ  
يَتْرُكُ مَكَانَهُ بَعْدَ الْأَكْلِ نَظِيفًا وَمُرْتَبًا وَكَانَ يَشْرَبُ بِدُونِ  
صَوْتٍ . . . وَلَا يَقَاطِعُ الْكِبَارَ عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُونَ ، كَانَ مُحِطًا  
أَنْظَارِ قَوْمِهِ لِأَدْبِهِ الْجَمِّ وَمَظْهَرِهِ النَّظِيفِ الْمُرْتَّبِ ، فَكَانُوا  
يَتَأَمَّلُونَهُ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيهِ حَتَّى أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ يَوْمًا مَا إِنَّ قَدَمَ  
مُحَمَّدٍ تُشَبِّهُ قَدَمَ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْجُودَةَ عَلَى الْحَجَرِ . . . فِي  
صَحْنِ الْكَعْبَةِ . . . وَكَانَ الْعَرَبُ مِنْ أَقْدَرِ الْأُمَمِ عَلَى مَعْرِفَةِ  
الْأَقْدَامِ وَتَقْفَى الْأَثَرِ ( أَيْ تَتَّبِعُ أَثَرَ مَنْ مَشَى عَلَى الرِّمَالِ  
وَالْاهْتِدَاءِ إِلَيْهِ ) .



## مُحَمَّدٌ فِي كَفَالَةِ عَمِّهِ

كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَمَا أَحَسَّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ اسْتَدْعَى ابْنَهُ  
أَبَا طَالِبٍ وَأَوْصَاهُ خَيْرًا بِابْنِ أَخِيهِ . . . وَرَغِمَ أَنَّ سَيِّدَ قُرَيْشٍ لَهُ  
مِنَ الْأَبْنَاءِ الْكَثِيرِ إِلَّا أَنَّهُ اخْتَارَ أَبَا طَالِبٍ لِقَلْبِهِ الْكَبِيرِ وَعَوَاطِفِهِ  
الْفِيَّاضَةِ وَمُرُوءَتِهِ الظَّاهِرَةِ وَنَخْوَتِهِ الْمُتَفَرِّدَةِ . . . بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ  
أَبَا طَالِبٍ كَانَ كَثِيرَ الْعِيَالِ قَلِيلَ الْمَالِ إِلَّا أَنَّ الْجَدَّ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ  
الْيَتِيمَ يَكُونُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى صِدْقِ الْعَوَاطِفِ مِنْهُ إِلَى وَفْرَةِ  
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . . .

لِذَا أَقْبَلَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ يَغْمُرُهُ بِالْعُطْفِ  
وَيَشْمَلُهُ بِالرَّعَايَةِ وَيُحْلِطُهُ بِأَبْنَائِهِ وَكَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَبَسَطَ  
عَلَيْهِ حِمَايَةً خَاصَّةً حَتَّى أَنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا بِجَوَارِهِ وَلَا يَخْرُجُ  
إِلَّا مَعَهُ . . . وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَشْعُرُ بِبِرْكَةِ هَذَا الْغُلَامِ فِي كُلِّ  
شَيْءٍ فِي الطَّعَامِ وَفِي الشَّرَابِ فَمَا كَانَ يَجْلِسُ مُحَمَّدٌ عَلَى طَعَامٍ  
إِلَّا وَآكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا وَظَلَّ الْحَالُ هَكَذَا حَتَّى بَلَغَ الْغُلَامُ  
الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ الْقِيَامُ بِرِحْلَةِ  
الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ وَرِحْلَةِ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ . . . وَهَذَا قَدْ أَقْبَلَ  
الصَّيْفُ وَهِيَ الْقَوَافِلُ تَسْتَعِدُّ لِرِحْلَةِ الشَّامِ لِلتَّجَارَةِ . . .  
وَقَدْ قَرَّرَ أَبُو طَالِبٍ السَّفَرَ مَعَ هَذِهِ الْقَوَافِلِ ، وَأَعَدَّ كُلَّ شَيْءٍ





القوافل تستعد لرحلة الشام للتجارة



سوق بصری

تَوَجَّهَ أَحَدُ الرُّهْبَانِ الصَّغَارِ إِلَى أَعْضَاءِ الْقَافِلَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
وَرَاحَ يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ دَعْوَةَ الرَّاهِبِ بَحِيرَا ، وَتَعَجَّبَ الْعَرَبُ مِنْ  
هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُفَاجِئَةِ وَقَالُوا لَطَلَمَّا جِئْنَا وَرَأَيْنَا الدَّيْرَ وَالرَّاهِبَ  
بَحِيرَا فَلَمْ يَدْعُنَا . . . فَمَا الَّذِي حَدَثَ هَذِهِ الْمَرَّةَ ؟  
وَعِنْدَمَا اجْتَمَعَ الْجَمِيعُ حَوْلَ الْمَائِدَةِ . . . ظَلَّ الرَّاهِبُ بَحِيرَا  
يَتَفَرَّسُ مُحَمَّدًا . . . ثُمَّ لَمْ يُطِقْ صَبْرًا . . .  
فَقَالَ . . .

مَنْ هَذَا الْغُلَامُ ؟

قَالُوا : مُحَمَّدٌ .

قَالَ : لِمَنْ فِيكُمْ ؟

قَالُوا : لِأَبِي طَالِبٍ . .

قَالَ الرَّاهِبُ : لَا إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ يَتِيمٌ . . قَالُوا نَعَمْ مَاتَ  
أَبُوهُ ، وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّهُ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ  
مِنْ عُمُرِهِ . .

اقْتَرَبَ الرَّاهِبُ بَحِيرَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَمْسَكَ بِهِ ثُمَّ عَرَى مَا بَيْنَ  
كَتِفَيْهِ وَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى عَلَامَةٍ فِي ظَهْرِهِ . . فَغَطَّى ظَهْرَهُ وَتَمَالَكَ  
نَفْسَهُ وَتَمَلَّكَهُ شُعُورٌ بِالْفَرَحِ ثُمَّ بِالْحُزَنِ الشَّدِيدِ . . فَانْتَفَضَ  
وَاقِفًا وَنَادَى عَلَى أَبِي طَالِبٍ وَتَنَحَّى بِهِ جَانِبًا وَقَالَ لَهُ : - عُدْ  
بِهَذَا الْغُلَامِ إِلَى مَكَّةَ . . اهْرُبْ بِهِ سَرِيعًا . . إِيَّاكَ أَنْ يَرَاهُ  
الْيَهُودُ . . . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَتَلُوهُ . . عُدْ إِلَى بَلَدِكَ وَاكْتُمِ الْخَبَرَ فَإِنَّهُ  
كَائِنْ لَأَبْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ .



## الْعَمَلُ الْمَبْكُرُ

كَانَ مُحَمَّدٌ مُنْذُ صِغَرِهِ شَدِيدَ الْحَيَاءِ . . رَقِيقَ الْحِسِّ . .  
مُرْهَفَ الشُّعُورِ ، فَكَانَ يُجَاوِلُ دَائِمًا أَلَّا يُشَكِّلَ عِبْنًا عَلَى أَحَدٍ  
مِنْ أَقَارِبِهِ بَلْ كَانَ يُجَاوِلُ الْاعْتِمَادَ عَلَى نَفْسِهِ . . وَلَمْ يَكْتَفِ  
بِذَلِكَ بَلْ كَانَ يَعْزِضُ خِدْمَاتِهِ وَمُسَاعَدَاتِهِ عَلَى الْآخَرِينَ . .  
فَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَى سِنِّ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ حَتَّى طَلَبَ مِنْ عَمِّهِ ضُرُورَةَ  
الْقِيَامِ بِأَيِّ عَمَلٍ يُعِينُ الْعَمَّ عَلَى كَثْرَةِ الْعِيَالِ وَقِلَّةِ الْمَالِ . .  
كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَتِمَكَّنَ مِنَ الزَّرَاعَةِ حَتَّى يُشَارِكَ عَمَّهُ عِبَاءَ  
الْحُصُولِ عَلَى الطَّعَامِ . . وَلَكِنَّ الْمُنَاحَ فِي مَكَّةَ لَمْ يَكُنْ يَسْمَحُ  
بِالزَّرَاعَةِ . . كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يُبَارِسَ آيَةَ حِرْفَةٍ يَتَكَسَّبُ مِنْهَا ،  
وَلَكِنَّ أَحَدًا مِنَ الْحِرَفِيِّينَ لَمْ يُجِرُّهُ عَلَى اسْتِئْجَارِ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيِّ  
الْهَاشِمِيِّ . . لَذَا اخْتَارَ مُحَمَّدُ الْعَمَلُ فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ . . فَرَاخَ  
يَزْعَى غَنَمَ الْأَهْلِ فِي وَادٍ بِمَكَّةَ يَلِي جَبَلَ الصِّفَا اسْمُهُ «أَجْيَاد» .

وَرَعَى الْأَغْنَامَ يُرَبِّي فِي الْإِنْسَانِ مَلَكَهَ الْقِيَادَةِ وَالسِّيَاسَةَ  
وَالصَّبْرَ . . وَالْقُدْرَةَ عَلَى تَأْمُلِ الْمُعْجَزَاتِ . . وَإِدْرَاكِ  
الْغَرَائِزِ . . كَغَرِيزَةِ التَّنَاسُلِ . . وَحُبِّ الْبَقَاءِ . . وَالْبَحْثِ عَنِ



الطَّعَام . . وَالْأُمُومَةِ وَالِدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ وَالْهُرُوبِ مِنَ الْخَطَرِ  
وغيرها من الغرائز التي تُحَرِّكُ الْحَيَوَانَ فِي الدُّنْيَا وَتَحْفَظُ لَهُ النُّوعَ  
لِذَا كَانَتْ مِهْنَةُ الرَّعْيِ هِيَ مِهْنَةُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ يَذْهَبُ إِلَى رَعْيِ الْغَنَمِ مُنْفَرِدًا بَلْ كَانَ مَعَهُ  
مِنْ شَبَابٍ مَكَّةَ وَكُھُولَهَا وَنِسَائِهَا مِنْ يُبَارِسُ هَذِهِ الْمِهْنَةَ الْأُولَى  
فِي هَذِهِ الْمَنَاطِقِ الصَّحْرَاوِيَةِ . . وَبَسَبَبِ مِهْنَةِ الرَّعْيِ هَذِهِ  
اخْتَلَطَ مُحَمَّدٌ بِرُفَقَاءَ لَهُ فِي نَفْسِ سِنِّهِ فَكَانُوا يَمْرَحُونَ مَعًا  
وَيَلْعَبُونَ أَحْيَانًا وَيَتَجَالَسُونَ . . .

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الصَّبِيَّةِ الشَّجَارُ وَالتَّنَابُذُ بِالْأَلْقَابِ . .  
وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ . . وَأَحْيَانًا التَّضَارُّبُ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ . .  
كَنُوعٍ مِنَ الْمُدَاعَبَةِ أَحْيَانًا وَكَنُوعٍ مِنْ انْدِفَاعِ الشَّبَابِ وَرَغْبَتِهِمْ  
فِي الْخُرُوجِ عَلَى التَّقَالِيدِ وَالْآدَابِ الْعَامَّةِ . . أَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ  
اخْتَفَظَ بِشَخْصِيَّةٍ مَحْبُوبَةٍ مُتَرَفِّعَةٍ لَا تَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ السَّبَابِ  
وَالشَّتَائِمِ الَّتِي يَنْفُرُ مِنْهَا كُلُّ إِنْسَانٍ سَوِيٍّ . . بَلْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ  
مِنَ الشَّبَابِ يَجْرُؤُ عَلَى لَعْنِهِ أَوْ سَبِّهِ . . لَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَهَابَةٌ  
بَيْنَ أَصْدِقَائِهِ . . وَكَانَ الْكِبَارُ يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ وَيَقُولُونَ إِنَّ  
مُحَمَّدًا لَا يَتَدَنَّى إِلَى ذِكْرِ أَلْفَاظٍ يُرَدِّدُهَا مُنْحَطُّو الشَّخْصِيَّةِ  
وَصِغَارُ النَّفُوسِ .





## حلف الفضول

كَانَ الْعَرَبُ قَبْلَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَلَالِ  
وَالْحَرَامِ فِي كَسْبِ أَرْزَاقِهِمْ . . . كَانَ الظُّلْمُ سَائِدًا بَيْنَهُمْ . . .  
الْقَوِيُّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ ، بُلٌّ وَيُبَاهِي بِأَنَّهُ جَبَّارٌ فِي الْأَرْضِ  
لَا يَرْحَمُ . . . وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَدِمَ أَحَدُ التُّجَّارِ الْغُرَبَاءِ عَنْ مَكَّةَ  
وَمَعَهُ بِضَاعَةٌ قِيَمَةٌ فَاشْتَرَاهَا الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ . . . وَلَمْ يَدْفَعْ  
ثَمَنَهَا وَرَاحَ يُبَاطِلُ التَّاجِرَ الْغَرِيبَ فَأَخَذَ الرَّجُلُ يَشْكُو  
لِلنَّاسِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَحَدٌ لِمَشْكُوَاهِ ، فَهَدَاهُ تَفَكِيرُهُ أَنْ يَصْعَدَ  
عَلَى جَبَلٍ « أَبِي قَبَيْسٍ » . وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ . . . يَا مَعْشَرَ  
قُرَيْشٍ . . . يَا سَادَةَ النَّاسِ . . . يَا خُدَّامَ الْكُعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ . . . يَا  
سَدَنَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ . . . يَا أَهْلَ الْمُرُوءَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ . . .  
لَقَدْ أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ بِتِجَارَةٍ وَفِيرَةٍ . . . اشْتَرَاهَا  
مِنْنِي الْعَاصُ وَلَمْ يَدْفَعْ ثَمَنَهَا وَأَخَذَ يُرَاوِغُ وَيَتَهَرَّبُ . . . وَأَنْتُمْ  
أَهْلُ الْحَرَمِ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْإِغَاثَةِ وَنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ . . . رُدُّوا عَلَيَّ  
مَالِي الَّذِي أَخَذَهُ الْعَاصُ ظُلْمًا وَزُورًا . . . وَأَخَذَ يَقُولُ شِعْرًا  
أَذَابَ قُلُوبَ السَّامِعِينَ . . . فَتَحَرَّكَتِ النُّخُوةُ الْعَرَبِيَّةُ وَقَرَّرَ  
رُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ الْاجْتِمَاعَ فِي دَارِ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ ) الَّذِي



أُخْرَى . . . لَقَدْ أَدْرَكَ بِفَطْرَتِهِ النَّقِيَّةَ أَنَّ الَّذِي مَنَعَهُ هُوَ اللَّهُ . .  
وَهَكَذَا حَفِظَ اللَّهُ نَبِيَّهِ مِنْ مَجَالِسِ الشَّيْطَانِ حَيْثُ اللَّهُ وَمَا  
يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ التَّدْنِي فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ كَالْخَمْرِ . .  
وَالْمَيْسِرِ . . وَالْعَبَثِ . . وَالْمُجُونِ . .

اشْتَهَرَ مُحَمَّدٌ فِي مَكَّةَ أَنَّهُ عَزُوفٌ عَنِ الْعَبَثِ وَالْفَوَاحِشِ . .  
وَأَنَّهُ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَلَا يُقَامِرُ . . وَأَنَّهُ شَابٌّ عَفِيفٌ يَتَعَالَى  
عَنْ مَوَاطِنِ الْخِسَّةِ وَالضَّيَاعِ . . وَلَا يَنْطِقُ فُحْشًا وَلَا كَذِبًا . .  
بَلْ لَقَدْ كَانَتْ السَّمَاحَةُ طَبْعَهُ وَالرُّجُولَةُ الْمُبَكَّرَةُ مِنْ شِيَمَتِهِ ،  
وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ دَائِمًا ابْتِسَامَةٌ رِضًا . . وَفِي لِسَانِهِ حَلَاوَةٌ  
جَعَلَتْهُ مَحْبُوبًا مُحْتَرَمًا مِنَ النَّاسِ . . وَكَانَ الشَّبَابُ يُحَدِّثُونَ  
آبَاءَهُمْ عَنْهُ حَتَّى أَجْمَعُوا بِأَنَّهُ الْوَفِيُّ الَّذِي لَا يَغْدِرُ . .  
وَالنَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشُ . . وَالْأَمِينُ الَّذِي لَا يُخُونُ ، فَلَقَّبُوهُ  
بِالْأَمِينِ . . حَتَّى أَصْبَحَ هَذَا اللَّقَبُ وَصْفًا خَاصًّا بِهِ وَسَطَ  
بَيْتَةٍ شَاعَ فِيهَا السَّلْبُ وَالنَّهْبُ وَالرِّبَا . . وَالْإِنْتِقَامُ .



كَانَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ يَلْحَظُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَفْخَرُ بِهِ . . وَفِي  
أَحَدِ الْأَيَّامِ دَعَاهُ إِلَى حُضُورِ مَنَاسِكِ تَعْظِيمِ أَحَدِ الْأَصْنَامِ  
وَيُدْعَى « بُوَابَةَ » يَجْتَمِعُ النَّاسُ عِنْدَهُ وَيَخْلُقُونَ رُؤُوسَهُمْ  
وَيَقْدِّمُونَ الْقَرَابِينَ وَيَسِيتُونَ عِنْدَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً .

فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لَكَ فِي قَوْمِكَ  
مَكَانَةً كَبِيرَةً رَغِمَ صِغَرُ سِنِّكَ لَذَا لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِ الْمَنَاسِكِ  
الَّتِي سَتُقَامُ اللَّيْلَةَ لِلإِلَهِهِ « بُوَابَةَ » .

فَرَفَضَ مُحَمَّدٌ الذَّهَابَ وَاعْتَذَرَ لِعَمِّهِ . . وَلَكِنَّ عَمَّهُ لَمْ  
يَقْبَلِ الْعِذَارَ وَنَادَى عَلَى عَمَّاتِهِ كَيْ يَرِينَ إِصْرَارَ مُحَمَّدٍ عَلَى  
رَفْضِهِ مُشَارَكَةِ قَوْمِهِ فِي تَقْدِيمِ الْقَرَابِينِ لِلْأَصْنَامِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي  
صَحْنِ الْكَعْبَةِ . . كَانَ مُحَمَّدٌ شَدِيدَ الْحَيَاءِ فَخَجَلَ مِنْ عَمِّهِ  
وَأَتَجَهَّ مَعَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ . . وَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَى الْأَصْنَامِ حَتَّى فَرَّ  
مَرْعُوبًا وَدَخَلَ عَلَى عَمَّاتِهِ مَخْطُوفَ اللَّوْنِ يَرْتَعِدُ فَقُلْنَ لَهُ : مَا  
دَهَاكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي مَسٌّ مِنَ الْجِنِّ . .  
فَقُلْنَ . . مَا كَانَ اللَّهُ لِيَبْتَلِيكَ بِالشَّيْطَانِ وَفِيكَ مِنْ خِصَالِ  
الْخَيْرِ مَا فِيكَ . . فَمَاذَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْ صَنْمٍ  
ظَهَرَ لِي رَجُلٌ أَبْيَضُ قَوِيَّ الْجِسْمِ يَقُولُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ وَرَاءَكَ  
يَا مُحَمَّدُ لَا تَمْسُهُ :

خَافَتْ الْعَمَّاتُ عَلَى مُحَمَّدٍ . . وَخَافَ عَمُّهُ عَلَيْهِ أَيْضًا . .  
وَاتَّفَقُوا فِيهِمَا بَيْنَهُمْ أَلَّا يَذْهَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْأَصْنَامِ قَطُّ . . عَلَى الْأَ  
يُخْبِرُوا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ .



## حَرْبُ الْفِجَارِ

رَغِمَ أَنْ مُحَمَّدًا كَانَ يُخَالِفُ قَوْمَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ  
وَعَادَاتِهِمْ السَّيِّئَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُجَافِيهِمْ أَوْ يَتَأَفَّفُ مِنْ  
مُخَالَطَتِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ طِبَاعِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ لَقَدْ كَانَ  
يُشَارِكُهُمْ مَشَاكِلَهُمْ وَيُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . . . وَعِنْدَمَا قَامَتْ حَرْبُ  
الْفِجَارِ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ بِسَبَبِ غَدْرِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِرَجُلٍ  
مِنْ هَوَازِنَ فَقَتَلَهُ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَكَانَ الْعَرَبُ يُقَدِّسُونَ  
هَذِهِ الْأَشْهُرَ وَيَمْنَعُونَ الْقِتَالَ فِيهَا . . . وَعِنْدَمَا انْدَلَعَتْ  
الْحَرْبُ رَاحَ مُحَمَّدٌ يُسَاعِدُ أَعْمَامَهُ وَيَجْمَعُ لَهُمُ السَّهَامَ الَّتِي يُرْمَى  
بِهَا الْأَعْدَاءُ . . . وَيُحَاوِلُ إِصْلَاحَ مَا اعْوَجَّ مِنْهَا . . . وَكَانَ يَبْلُغُ  
مِنَ الْعُمُرِ عِشْرِينَ عَامًا عِنْدَمَا بَدَأَتْ الْحَرْبُ وَالَّتِي اسْتَمَرَّتْ  
أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ حَتَّى تَصَالَحَتْ قُرَيْشٌ مَعَ هَوَازِنَ .



سَارَعَ بِإِعْدَادِ مَائِدَةٍ لِلطَّعَامِ . وَبَعْدَ أَنْ جَلَسَ الْجَمِيعُ  
يَتَنَاقَشُونَ فِي أَمْرِ التَّاجِرِ الْغَرِيبِ ، وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ  
عَارًا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ . . وَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى نُصْرَةِ الْمَظْلُومِ  
وَأَخَذُوا ثَمَنَ الْبِضَاعَةِ مِنْ ( الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ) وَدَفَعُوهَا  
لِلرَّجُلِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ . .  
وُسُمِيَ هَذَا الْحِلْفُ ( حِلْفَ الْفُضُولِ ) وَعِنْدَمَا سَمِعَ مُحَمَّدٌ  
بِهَذَا الْحِلْفِ حَضَرَ مُسْرِعًا لِيُشَارِكَ فِي هَذَا الْحِلْفِ الَّذِي يَحْتَرِّمُ  
حُقُوقَ الْإِنْسَانِ وَيُعْلِي قَدْرَهُ .



## زَوَاجُ مُحَمَّدٍ

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مِنْ أَعْلَى الْقَبَائِلِ نَسَبًا . .  
 وَكَانَتْ مَشْهُورَةً بِالْجَمَالِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ كَانَتْ بَيَضَاءَ اللَّوْنِ  
 تَمِيلُ إِلَى السَّمْنَةِ وَاسِعَةِ الْعَيْنَيْنِ ذَاتَ شَعْرِ أَسْوَدَ نَاعِمٍ . .  
 وَكَانَتْ أَرْمَلَةً فِي التَّاسِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ . . شَدِيدَةَ الثَّرَاءِ لَهَا تِجَارَةٌ  
 وَاسِعَةٌ فِي الْأَسْوَاقِ . . تَسْتَأْجِرُ أَفْضَلَ الرِّجَالِ لِتَقُودَ قَوَافِلَ  
 تِجَارَتِهَا شِمَالًا وَجَنُوبًا . . كَانَ النَّاسُ يُلَقِّبُونَهَا بِالطَّاهِرَةِ  
 وَ«سَيِّدَةِ قُرَيْشٍ» وَكَانَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ وَعُظَمَاؤُهَا يَتَمَنُّونَ  
 الزَّوَاجَ مِنْهَا . . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ مُحَمَّدٍ  
 مِنْذُ صِغَرِهِ ، فَهُوَ مِنْ بَنِي عُمُومَتِهَا ، فَكَانَتْ تَعْرِفُ عَنْهُ  
 الْهِمَّةَ وَالْحَزْمَ وَسَدَادَ الرَّأْيِ وَالصِّدْقَ وَالْأَمَانَةَ . . لِذَا كَانَتْ  
 تَتَمَنَّى أَنْ تَسْتَأْجِرَ الصَّادِقَ الْأَمِينَ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَحْيِ أَنْ  
 تَطْلُبَ ذَلِكَ مِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ يَعْلَمُهَا أَنَّ عَمَّهُ شَدِيدُ  
 الْخَوْفِ عَلَيْهِ مِنْ سَفَرِهِ بَعِيدًا عَنْ مَكَّةَ . . فَرَاخَتْ تَتَلَطَّفُ  
 وَتَرْجُو أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَأْذَنَ لابْنِ أَخِيهِ فِي رِحْلَةِ الشَّامِ . .  
 وَكَانَتْ سَنَةً مُجْدِبَةً . . وَأَرْمَلَةً شَدِيدَةً فَوَافَقَ أَبُو طَالِبٍ وَعَرَضَ  
 عَلَى ابْنِ أَخِيهِ السَّفَرَ . . فَقَبِلَ مُحَمَّدٌ وَخَرَجَ بِتِجَارَةِ خَدِيجَةَ إِلَى  
 الشَّامِ وَمَعَهُ غَلَامُهَا «مَيْسَرَةَ» .



خَرَجَ أَعْمَامُ مُحَمَّدٍ وَعَمَاتُهُ لِتَوْدِيعِهِ قَبْلَ السَّفَرِ ، وَقُلُوبُهُمْ  
مَشْدُودَةٌ إِلَيْهِ خَوْفًا وَحُبًّا . . . وَأَنْطَلَقَتِ الْقَافِلَةُ تَسِيرُ فِي  
الصَّحَرَاءِ الْمَوْحِشَةِ ، وَالشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشْعَتَهَا الْمُحْرِقَةَ . .  
وَالهَوَاءُ السَّاخِنُ يَلْفُحُ الْوُجُوهَ فَكَانَ الْقَوْمُ يُصَابُونَ بِالْدُّوَارِ  
وَالهَبُوطِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ . . . وَيَحْتَبِثُونَ فِي الْهَوَاجِ . أَمَّا مُحَمَّدٌ  
فَقَدْ كَانَ دَائِمَ الْبِشْرِ . . هَادِي النَّفْسِ كَأَنَّمَا تُظِلُّهُ غَمَامَةٌ . .  
وَلَقَدْ لَاحَظَ مَيْسَرَةَ هَذِهِ السَّكِينَةِ الْغَرِيبَةِ وَرَأَى أَنَّ مُحَمَّدًا  
لَا يَتَضَرَّرُ وَلَا يَتَبَرَّمُ وَلَا يَشْكُو . . كَأَنَّهُ سَابِحٌ فِي مَلَكُوتٍ آخَرَ .  
وَعِنْدَمَا وَصَلَتِ الْقَافِلَةُ إِلَى الشَّامِ نَشِطَ مُحَمَّدٌ فِي عَمَلِيَّاتِ  
الْبَيْعِ نَشَاطًا غَيْرَ عَادِيٍّ حَتَّى بَاعَ كُلَّ بَضَاعَتِهِ وَرَبَحَ رِبْحًا  
وَفِيرًا وَأَخَذَ يَشْتَرِي أَجُودَ أَنْوَاعِ بَضَائِعِ الشَّامِ . . ثُمَّ شَعَرَ  
بِالْإِرْهَاقِ فَاتَّجَهَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ جَافَّةٍ كَانَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ أَحَدِ  
الْأُدِيرَةِ حَيْثُ صَوْمَعَةُ أَحَدِ الرُّهْبَانِ ، فَنَظَرَ الرَّاهِبُ إِلَى مَيْسَرَةِ  
وَقَالَ لَهُ : مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ؟  
قَالَ مَيْسَرَةُ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَعَلَّقَ  
أَحَدُ التُّجَّارِ الشَّوَامَ كَانَ يَقِفُ بِجَوَارِ الرَّاهِبِ قَائِلًا إِنَّ مُحَمَّدًا  
هَذَا يَخْتَلِفُ عَنْ بَقِيَّةِ عَرَبِ مَكَّةَ ، إِنَّهُ رَفَضَ أَنْ يُقْسِمَ بِاللَّاتِ  
وَالْعُزَّى أَثْنَاءَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ . . وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ صَادِقٌ وَأَمِينٌ  
لَا يُدَارِي وَلَا يُمَارِي . .



قَالَ الرَّاهِبُ وَكَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ . . . صَادِقٌ وَأَمِينٌ . .  
وَلَا يُقْسِمُ بِالْأَصْنَامِ ثُمَّ يَنَامُ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ . . ! وَاللَّهِ مَا  
نَزَلَ تَحْتَهَا إِلَّا نَبِيٌّ . . .

وَأَرَادَ مَيْسِرُهُ أَنْ يَتَحَقَّقَ مِمَّا سَمِعَ وَلَكِنْ مُنَادِيًا أَخَذَ يُنَادِي  
مُغْلِنًا أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَوَانُ الْعُودَةِ إِلَى مَكَّةَ وَعَلَى الْقَوْمِ أَنْ يَتَحَرَّكُوا  
سَرِيعًا . .

وَفِي الطَّرِيقِ كَانَ مَيْسِرُهُ دَائِمَ النَّظَرِ إِلَى مُحَمَّدٍ يَتأملُ فِيهِ كُلَّ  
شَيْءٍ . . . هُدُوءَهُ . . . تَوَاضَعُهُ . . . أَدَبَهُ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ . .  
أَمَانَتِهِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَثِيلٌ . . . لِذَا كَانَ مُتَشَوِّقًا لِلِقَاءِ سَيِّدَتِهِ  
خَدِيجَةَ حَتَّى يَحْكِي لَهَا كُلَّ مَا رَأَى وَسَمِعَ . .

\* \* \*

وَقَفَتْ خَدِيجَةُ فِي غُرْفَةٍ عَالِيَةٍ تَنْتَظِرُ قُدُومَ الْقَافِلَةِ . . . فَرَأَتْ  
الْجَمَالَ وَالْحَمِيرَ وَالْبِغَالَ قَادِمَةً مِنْ بَعِيدٍ مُحْمَلَةً بِالْبَضَائِعِ . .  
فَدَقَّ قَلْبُهَا بِالْفَرَحَةِ وَعَلِمَتْ أَنَّ تِجَارَتَهَا قَدْ رَبِحَتْ . . . وَكَانَ  
فِي مُقَدِّمَةِ الْقَافِلَةِ مُحَمَّدٌ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ سَاكِنِ النَّفْسِ . . هَادِيٌ  
الْبَالِ . . . وَبِجَوَارِهِ مَيْسِرُهُ يَكَادُ يَطِيرُ فَرَحًا يُرِيدُ أَنْ يَسْبِقَ  
الْجَمِيعَ وَيَحْكِي لِسَيِّدَتِهِ خَدِيجَةَ مَا رَأَى وَمَا سَمِعَ ، وَرَاحَتْ  
خَدِيجَةُ تُلَوِّحُ بِيَدَيْهَا تَحِيَّةً لِلْقَادِمِينَ .

وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهَا . . . وَرَاحَ يَقْصُصُ لَهَا كَيْفَ بَاعَ ؟ وَمَاذَا





رَبِّحَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلَ ؟ وَمَاذَا اشْتَرَى ؟ وَهِيَ مَبْهُورَةٌ بِكُلِّ هَذِهِ الْقَصَصِ وَكُلِّ هَذَا الرَّبِّحِ . . وَقَرَّرَتْ أَنْ تُضَاعِفَ لَهُ الْأَجْرَ وَعَادَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَمِّهِ مَسْرُورًا يَحْمِلُ لَهُ الْأَمْوَالَ وَالْهَدَايَا .

أَمَّا خَدِيجَةُ فَقَدْ بَاتَتْ تُفَكِّرُ فِي هَذَا الشَّابِّ الْقَوِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي اسْتَأْجَرَتْهُ فَكَانَ نِعَمَ الرَّجُلِ الْمُؤْتَمِنِ . . وَسَرَى فِي نَفْسِهَا طَائِفٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ . . لِمَاذَا لَا تَتَزَوَّجُ هَذَا الصَّادِقُ الْأَمِينُ ؟ وَشَرَحَ اللَّهُ قَلْبَهَا فَأَرَادَتْ أَنْ تُفْصِحَ عَنْ مَكْنُونِ صَدْرِهَا وَلَكِنَّهَا اسْتَحْتَتْ وَهِيَ الْأَرْمَلَةُ ذَاتُ الْأَرْبَعِينَ عَامًا الَّتِي رَفَضَتْ وَجْهَاءَ قُرَيْشٍ وَكِبَرَاءَهَا . .

وَرَأَى مَيْسِرَةُ يَحْكِي لِسَيِّدَتِهِ الْعَجَبَ . . وَهِيَ لَا تَكِلُ وَلَا تَمْلُ كَأَنَّمَا لَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ عَنْ ابْنِ عَمِّهَا هَذَا فِي كُلِّ وَقْتٍ . .

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَهَذَا الْخَاطِرُ يَعْتَمِلُ فِي نَفْسِهَا حَتَّى قَرَّرَتْ التَّحَدُّثَ مَعَ إِحْدَى صَدِيقَاتِهَا وَهِيَ « نَفِيسَةُ بِنْتُ مِنْبِه » قَالَتْ لَهَا : تَعْلَمِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَرِيبٌ لِي . . كَانَ قُصِيُّ جَدِّي وَجَدَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، فَأَنَا قُرَيْشِيَّةٌ وَهُوَ قُرَيْشِيٌّ . . كَمَا أَنَّهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ . . وَلَكُمْ أَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى زَوْجٍ يَقِفُ إِلَى جَوَارِي . . يَكُونُ أَمِينًا عَلَى مَالِي . . ثُمَّ صَمَتَتْ بُرْهَةً وَقَالَتْ : إِنِّي أُرْتَاحُ إِلَيْهِ . . وَأَتَمَنَّى الزَّوْاجَ مِنْهُ . . فَمَاذَا أَفْعَلُ ؟



قَالَتْ نَفِيسَةٌ : دَعِيَ هَذَا الْأَمْرُ لِي بِأَكْمَلِهِ . . ثُمَّ انْصَرَفَتْ  
ذَاهِبَةً إِلَى مُحَمَّدٍ . . وَبَعْدَ أَنْ جَلَسَتْ قَالَتْ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ مَا  
يَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟

قال : ليس ما بيدي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ .  
قَالَتْ : فَإِنْ كُفَيْتَ ذَلِكَ ، وَدُعِيتَ إِلَى الْجَمَالِ وَالْمَالِ  
وَالشَّرَفِ وَالْكَفَاءَةِ أَلَا تُحِبُّ ؟

قال : فَمَنْ هِيَ ؟

قَالَتْ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ سَيِّدَةُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ .

قال : وَمَنْ لِي بِذَلِكَ ؟

قَالَتْ : ائْتِرْكَ لِي هَذَا الْأَمْرَ أَفْعَلُهُ لَكَ . .

اسْتَبْشَرَ مُحَمَّدٌ . . وَانْشَرَ صَدْرُهُ . . فَخَدِيجَةُ سَيِّدَةُ  
لَا مِثِيلَ لَهَا يَتَمَنَّاهَا أَغْنِيَاءُ الْقَوْمِ فَهِيَ الطَّاهِرَةُ الْجَمِيلَةُ . .  
وَهِيَ الْقَرِيبَةُ الْحَبِيبَةُ .

طَارَتْ نَفِيسَةٌ إِلَى صَاحِبَتِهَا خَدِيجَةَ لِتُزِفَ إِلَيْهَا الْبُشْرَى . .  
فَسَرَتْ خَدِيجَةُ أَيَّامَ سُرُورٍ ، وَقَرَّرَتْ التَّوَجُّهَ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ  
ابْنِ نَوْفَلٍ لِتُخْبِرَهُ . . وَكَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَدْ  
قَرَأَ النَّصْرَانِيَّةَ وَعَلِمَ أَنَّ نَبِيًّا سَيُظْهِرُ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ اسْمُهُ  
أَحْمَدُ . . قَدْ آنَ أَوَانُهُ . . وَكَانَ يَسْمَعُ عَنْ مُحَمَّدٍ وَتَرْفَعِهِ عَنْ  
عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ . . وَسُمُوْ أَخْلَاقِهِ . . وَطَهَارَةِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ . .  
فَعِنْدَمَا أَخْبَرَتْهُ خَدِيجَةُ بِالْخَبَرِ رَحَّبَ تَرْحِيبًا شَدِيدًا ثُمَّ مَالَ عَلَى





ضرب الدفوف في فرح محمد

## بِنَاءُ الْكَعْبَةِ

عِنْدَمَا بَلَغَ مُحَمَّدٌ الْخَامِسَةَ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ . . أَصَابَ  
الْكَعْبَةَ سَيْلٌ جَارِفٌ وَأَمْطَارٌ غَزِيرَةٌ . . . فَتَحَطَّمَتْ جَوَانِبُهَا  
وَتَهَدَّمَتْ أَرْكَانُهَا وَأَرَادَ زُعَمَاءُ الْقَبَائِلِ تَجْدِيدَ الْكَعْبَةِ وَبِنَاءَهَا . .  
فَرَاخُوا يَعُدُّونَ الْعُدَّةَ وَيَعْمَلُونَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ حَتَّى اشْتَرَكَ  
النِّسَاءُ مَعَ الرِّجَالِ مَعَ الصَّبِيَّانِ الْكُلَّ يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ شَرَفَ بِنَاءِ  
الْكَعْبَةِ ، وَلَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ إِلَيْهِمْ  
مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ . . وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ . .  
أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ فِي مَكَانِهِ مِنَ الْبِنَاءِ . . وَبَدَأَ الْخِلَافُ أَيْهِمْ  
يَنَالَ شَرَفَ حَمْلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَوَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ . . وَكَانَ  
الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ لَهُ فِي نَفْسِهِمْ مَكَانَةٌ الْإِجْلَالِ وَالتَّقْدِيرِ ،  
وَاشْتَدَّ الْخِلَافُ حَتَّى كَادَتْ الْحَرْبُ تَنْشُبُ بَيْنَهُمْ . . لَوْلَا  
رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوِيٌّ الْمَكَانَةِ صَاحٍ . . يَا مَعْشَرَ الْقَبَائِلِ . .  
تَعَقَّلُوا . . وَاصْبِرُوا . . وَحَكِّمُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ قَادِمٍ عَلَى  
الْكَعْبَةِ . . فَارْتَضَوْا ذَلِكَ وَوَقَفُوا يَرْقُبُونَ أَوَّلَ قَادِمٍ . . فَإِذَا  
هُوَ « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » . . صَاحَ الْجَمِيعُ الصَّادِقُ  
الْأَمِينُ . . الصَّادِقُ الْأَمِينُ رَضِينَا بِهِ حَكَمًا . . وَعِنْدَمَا سَمِعَ



مُحَمَّدُ الْقِصَّةَ فَكَّرَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ « هَلُمُّوا إِلَيَّ ثَوْبًا » فَجَاءُوا  
بِالثَّوْبِ فَوَضَعَهُ مُحَمَّدٌ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ أَخَذَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ  
فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِ الثَّوْبِ وَقَالَ : لِتَأْخُذَ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ  
مِنَ الثَّوْبِ . . ثُمَّ رَفَعُوهُ جَمِيعًا . . فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ فِي مَكَانِهِ  
وَرَأَوْا يَنْبُؤُنَ عَلَيْهِ . . وَهَكَذَا كَانَتْ حِكْمَةُ مُحَمَّدٍ وَسَلَامَةُ  
تَفْكِيرِهِ الَّتِي أَنْقَذَتْ قَوْمَهُ مِنْ حَرْبٍ طَاحِنَةٍ .

رقم الإيداع : ٨٩٣٦ / ٩٤  
I.S.B.N. : 977 - 09 - 0234 - 9

#### مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤  
بيروت : ص ب ، ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩٠ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣





عبد المطلب يمارس سقاية الحجيج بنفسه في حياض من جلد



قال الهاتف : يا عبد المطلب احفر زمزم عند نقرة الغراب

وابنِهِ وَاجْتَمَعَ كُلُّ زَعِيمِ قَبِيلَةٍ وَمَعَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَبْنَائِهِ  
وَحَاوَلُوا مَنْعَهُ مِنَ الْحَفْرِ ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ بِإِصْرَارٍ ، فَأَخَذُوا  
يُضْغَطُونَ عَلَيْهِ بِالْكَلِمَاتِ الْمَوْجِعَةِ حَتَّى سَقَطَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ  
بَاكِئاً مِنْ شِدَّةِ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ . . . وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ رَفَعَ عَبْدُ  
الْمُطَّلَبِ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَتَمَنَّى أَنْ يَهْبَهُ اللَّهُ عَشْرَةَ أَبْنَاءٍ  
يُسَاعِدُونَهُ وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ . . . ثُمَّ نَذَرَ لِلَّهِ أَنْ يَذْبَحَ ابْنًا مِنْهُمْ  
إِذَا هُمْ بَلَغُوا عَشْرَةَ مِنَ الرِّجَالِ . . .

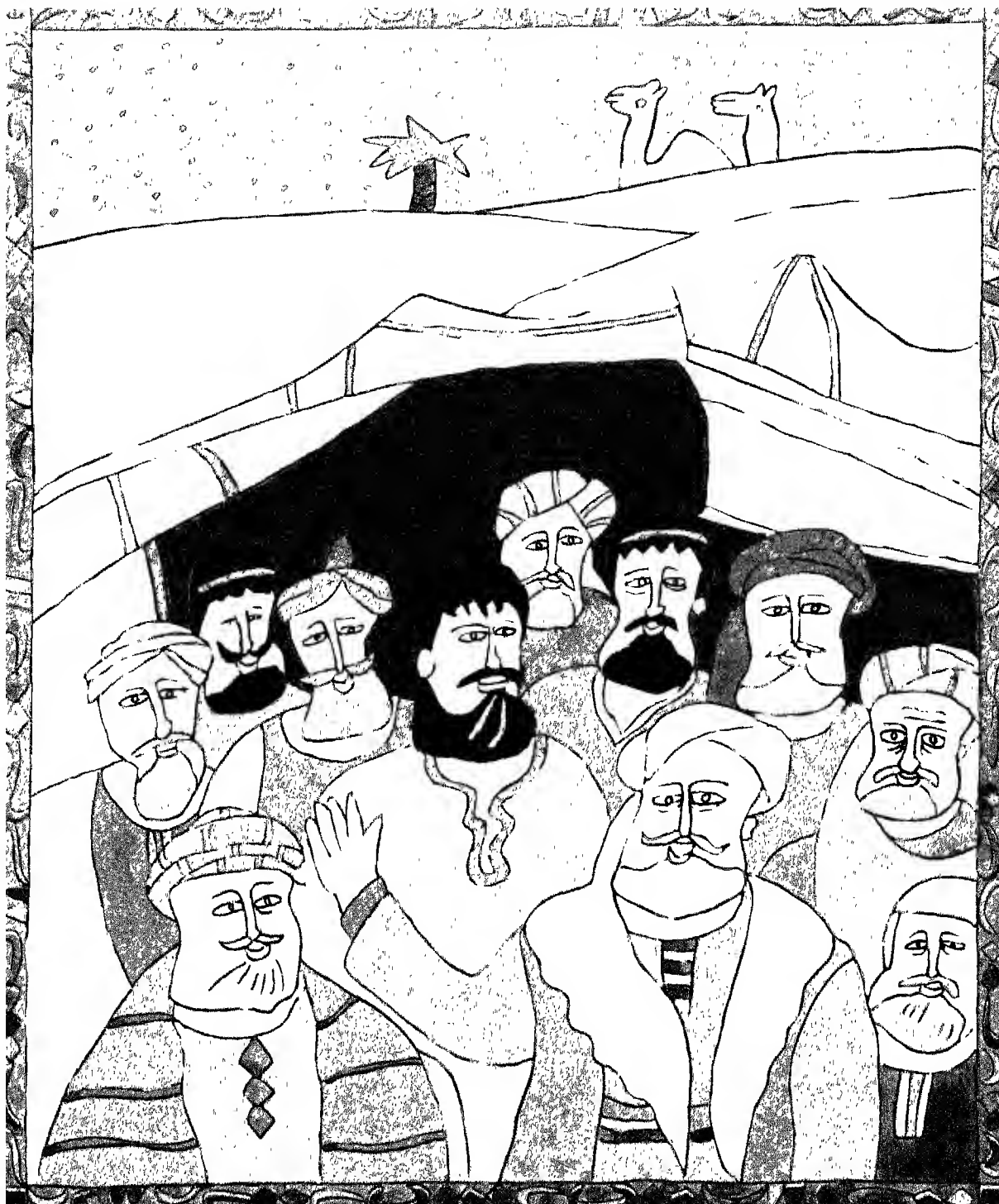
وَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلَبِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَهُوَ يَبْكِي  
وَيَدْعُو ، فَتَرَكُوهُ يَحْفَرُ وَقَرَّرُوا أَلَّا يَتَعَرَّضُوا لَهُ بِسُوءٍ ، وَرَاحَ يَحْفَرُ  
وَيَحْفَرُ بِلَا تَوَقُّفٍ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . . . ثُمَّ بَدَأَ الْيَأْسُ يَدْبُ فِي  
نَفْسِهِ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَضْرِبَ بِفَأْسِهِ مَرَّةً أُخِيرَةً ثُمَّ يَتَوَقَّفُ تَمَامًا لَعَلَّ  
الَّذِي رَأَاهُ ضَرْبًا مِنَ الْأَحْلَامِ . . . وَمَا إِنَّ رَفَعَ الْفَأْسَ وَانْهَالَ  
عَلَى الْأَرْضِ ، حَتَّى شَعَرَ بِشَيْءٍ صَلَبٍ فَاثْنَبَ عَلَيْهِ وَرَاحَ  
يَحْفَرُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ حَتَّى عَثَرَ عَلَى غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، كَمَا  
اسْتَخْرَجَ دُرُوعًا وَأَسْيَافًا وَالْآتِ حَرْبٍ ، فَسَعِدَ بِذَلِكَ كُلِّ  
السَّعَادَةِ وَاسْتَمَرَ فِي الْحَفْرِ حَتَّى رَأَى مَاءً زَمْزَمَ . . . فَصَاحَ  
مَكْبَرًا هَذَا بِئْرُ إِسْمَاعِيلَ . . . هَذَا بِئْرُ زَمْزَمَ . . . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ  
الْقَوْمُ مُسْرِعِينَ لِيُشَارِكُوهُ كُلَّ مَا عَثَرَ عَلَيْهِ . . .







وما أن اعتدلت الناقة واقفة حتى فوجئ الجميع بالماء يتفجر



قال زعيمهم : لقد ظهر الحق واضحاً جلياً



سادن الكعبة يقرع بالقداح



العرافة



ثم مازالوا يزدون عشرة في عشرة حتى بلغت المائة



ذهب العروسان إلى منى



رحلة عبد الله إلى الشام

لا يَقْفِزَ مِنْهَا ، وَصَمَتَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْطِقَ  
بِكَلِمَةٍ . . . بَيْنَمَا رَاحَتْ أَمْنُهُ تُتِمَّتْ . . . أَطَالَ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ  
يَا أَبَى . . . فِيكَ الْعَوْضُ . . . فِيكَ الرَّجَاءُ . . . ثُمَّ حَاوَلْتُ أَنْ  
تَتِمَّالِكَ دَمْعَهَا وَلَكِنَّهُ نَزَلَ غَزِيرًا حَارًّا حَتَّى بَكَى جَمِيعُ  
الرِّجَالِ . . . وَخَرَجَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ مُسْرِعًا إِلَى الْكَعْبَةِ يَشْكُو حُزْنَهُ  
إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْهُ وَعَنِ الْأَرْمَلَةِ الْعُرُوسِ .







وادرک عبد المطلب أن ولده الحبيب قد مات



ثم وضعت أمانة ولدًا



قال راصد النجوم : طلع نجم أحمد .. طلع نجم أحمد

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿سورة البقرة ١٢٩﴾ . وَلَقَدْ بَشَّرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
بِنَبِيِّ مِنْ بَعْدِهِ فَقَالَ تَعَالَى :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ مَصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ  
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ سورة الصف آية (٦) .

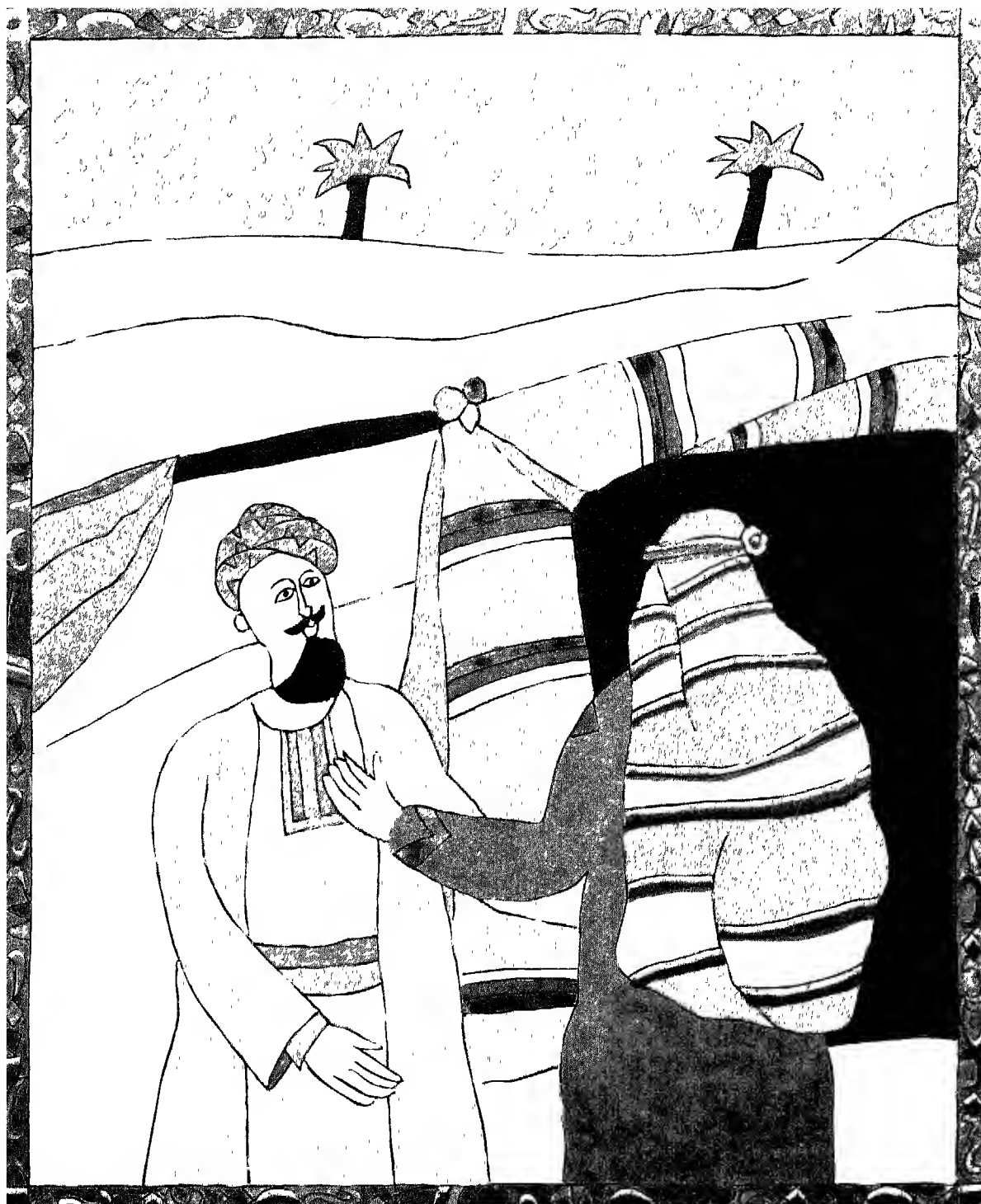


## حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ

كانت آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ رَغِمَ فَرْحَتُهَا الْغَامِرَةُ بِوَلِيدِهَا . . .  
تتذكَّرُ دائماً أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَيْفَ مَاتَ دُونَ أَنْ يَرَى ابْنَهُ . .  
وَكَيْفَ سَعِيشُ هَذَا الطُّفْلُ بِدُونِ أَبِي يَتِيماً رَقِيقَ الْحَالِ . . .  
وكثيراً ما كان يَتَحَرَّكُ هَذَا الْحَزَنُ الدَّفِينُ فِي نَفْسِهَا حَتَّى جَفَّ  
لَبْنُهَا . . وكانت جاريةً أَبِي لَهَبٍ تُدْعَى « ثُوَيْبَةَ » تُرْضِعُ  
ابْنَهَا ، فَطَلَبَتْ مِنْهَا آمِنَةُ أَنْ تُرْضِعَ مُحَمَّدًا ، فَرَحَّبَتْ « ثُوَيْبَةَ »  
بذلك وراحت تُرْضِعُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وعندما وصلَ خبرُ  
وصولِ المَرْضِعَاتِ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَرِحَتْ آمِنَةُ وَاسْتَبَشَرَتْ  
خَيْرًا . . . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْأَشْرَافِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَبْعَثُوا  
بِأَطْفَالِهِم الرُّضْعَ إِلَى الصَّحَرَاءِ مَعَ المَرْضِعَاتِ ؛ لِأَنَّ جَوَّ  
الصَّحَرَاءِ أَنْقى وَأَصَحُّ مِنْ جَوِّ مَكَّةَ الْمَشْبَعِ بِالرَّطُوبَةِ . .  
وكانت كُلُّ مُرْضِعَةٍ تَطْمَعُ فِي الْحَصُولِ عَلَى طِفْلٍ غَنِيٍّ يَصُبُّ  
وَالِدُهُ عَلَيْهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا يُشْبِعُهَا وَيُشْبِعُ أُسْرَتَهَا .

وانتظرت « آمِنَةُ » أَنْ تَتَقَدَّمَ إِحْدَى المَرْضِعَاتِ لِأَخْذِ  
طِفْلِهَا ، وَلَكِنَّهُنَّ انصَرَفْنَ عَنْهُ وَقُلْنَ لَهَا : إِنَّهُ يَتِيمٌ فَمَاذَا يُمَكِّنُ  
أَنْ نَأْخُذَ مِنْ وَرَائِهِ ؟ وَكَانَتْ آمِنَةُ تَشْعُرُ بِالْإِحْبَاطِ كُلَّمَا رَفَضَتْهُ  
إِحْدَاهُنَّ حَتَّى اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهَا بِالْأُحْمَرِ ، وَعِنْدَمَا حَانَ مَوْعِدُ





حليمة السعدية وزوجها



وشرب وشربت حلیمه حتی اړتویا



الأغنام النحيفة صارت نشيطة







فرحة الشيماء بعودة محمد



حليمة تنطلق إلى المراعى للإطمئنان على محمد



الكاهن يصيح : اقتلوا هذا الغلام

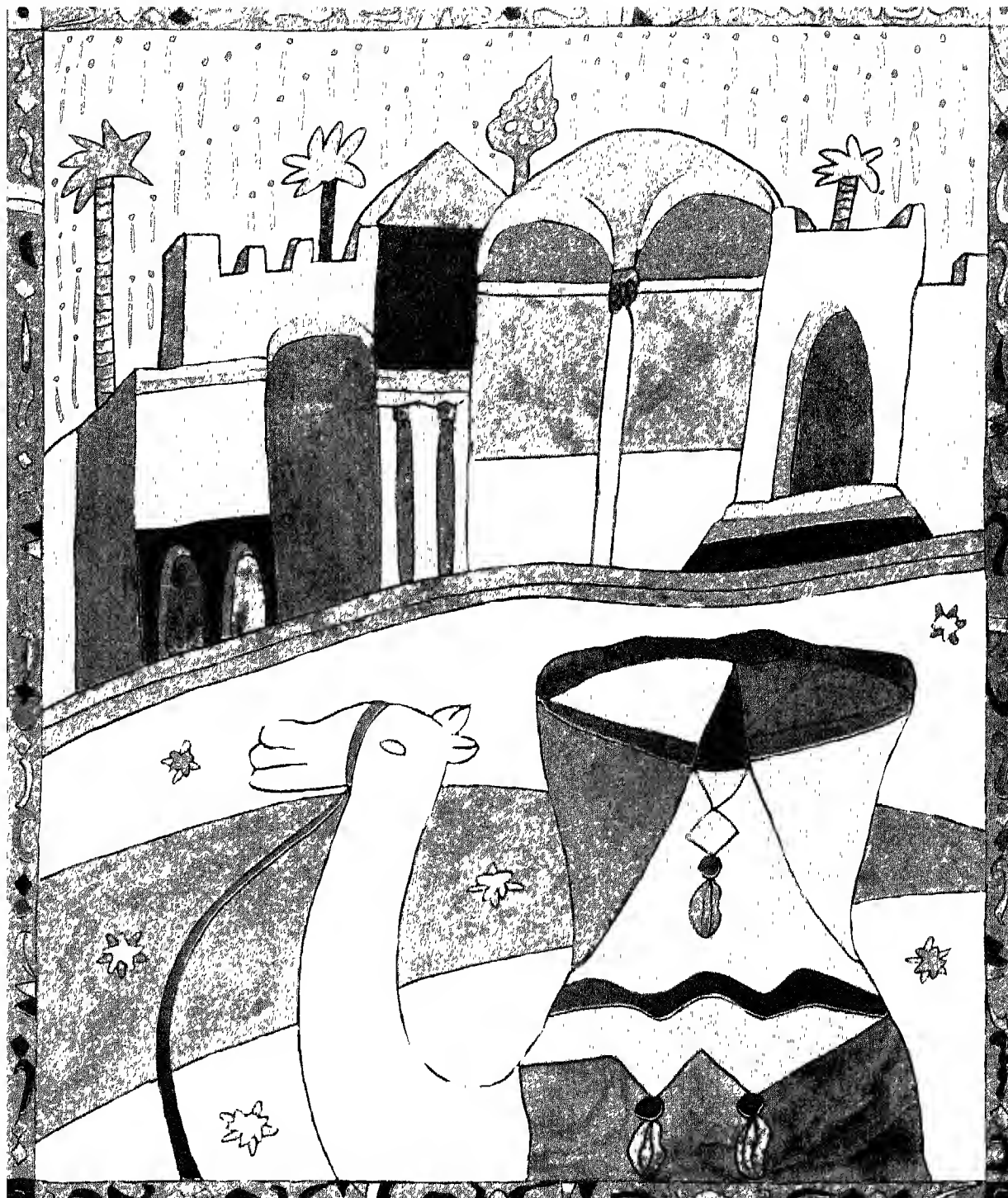


وقرر إعادة الطفل إلى أمه في مكة



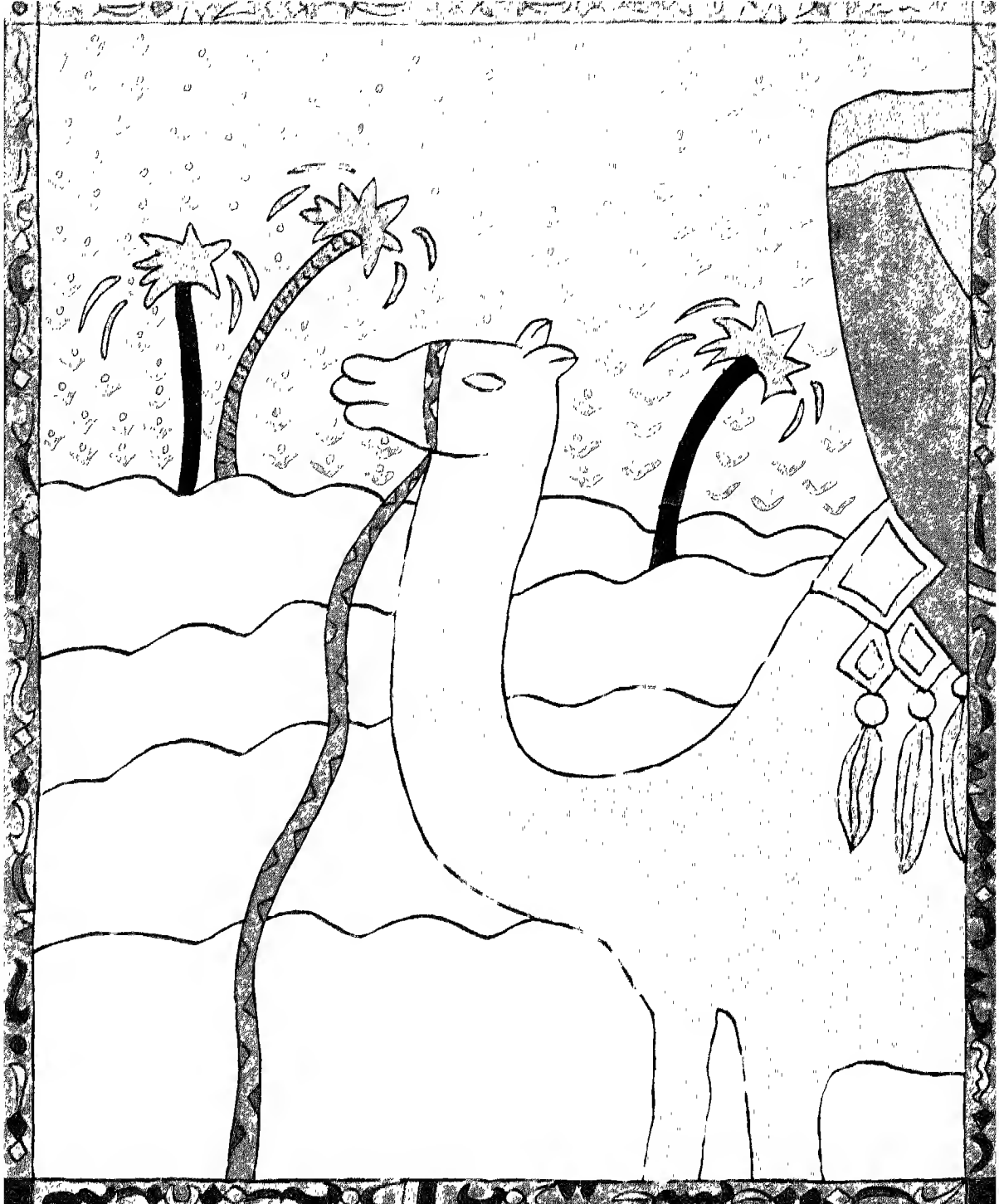


الحجيج يملؤن الأسواق بالسلع والبضائع



ورأى قصور يثرب الشاهقة





وركب الثلاثة على الناقة



وماتت آمنة



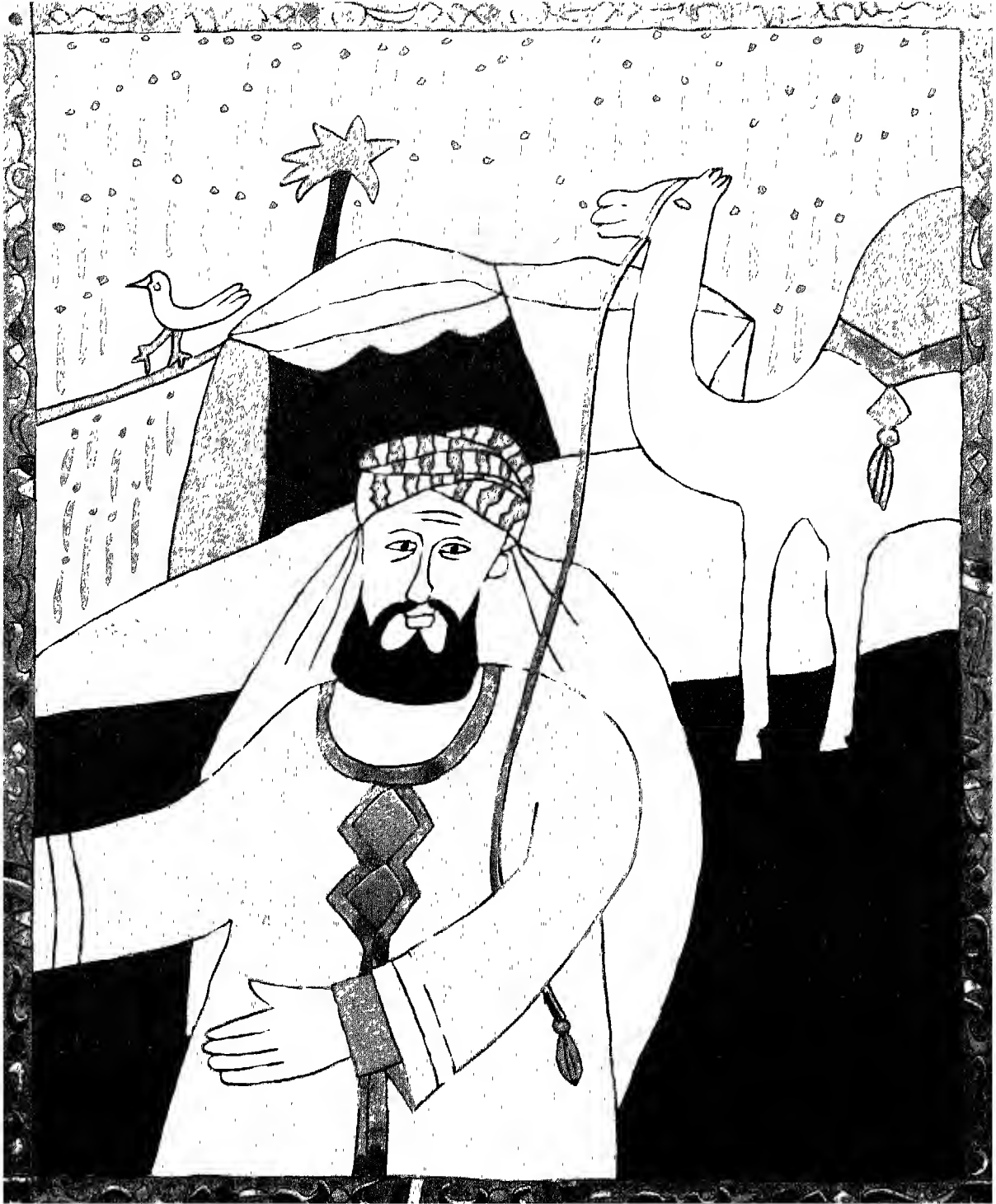
حاول الجد تعويض محمد عن فقد والديه

## لِكُلِّ هَذِهِ الْأَسْبَابِ

وَلِشُعُورِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَنَّ حَفِيدَهُ يَنْتَظِرُهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ كَانَ  
لَا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ وَلَا يَطْمَئِنُّ لَهُ قَلْبٌ حَتَّى يَكُونَ مُحَمَّدٌ  
بِجَانِبِهِ . . .

لِذَا ارْتَبَطَ مُحَمَّدٌ بِجَدِّهِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا وَعَمِيقًا . . وَأَحَبَّهُ  
بِكُلِّ كِيَانِهِ ، وَلَكِنَّ عَبْدِ الْمُطَّلِبَ مَرِضٌ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ . .  
وَوَقَّفَ بِجَوَارِهِ مُحَمَّدٌ يَدُقُّ قَلْبُهُ دَقَّاتٍ تُنْذِرُ بِقُرْبِ النِّهَايَةِ  
لِلْجَدِّ الْحَنُونِ . . وَرَاحَ الطِّفْلُ يَنْظُرُ إِلَى جَدِّهِ الْمَرِيضِ . .  
وَيُحَاوِلُ بِكُلِّ جَهْدٍ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ . . . وَعِنْدَمَا كَانَ يَأْتِي  
الْمَسَاءُ كَانَ يَرْفُضُ الْعَوْدَةَ إِلَى فِرَاشِهِ خَوْفًا عَلَى جَدِّهِ . . وَيَصِرُّ  
عَلَى الْبَقَاءِ مَعَهُ . . وَلَكِنَّ الْمَوْتَ كَانَ أَسْرَعَ فَخَطَفَ رُوحَ عَبْدِ  
الْمُطَّلِبِ وَتَرَكَ جَسَدَهُ شَاحِبًا بَارِدًا مُلْقًى عَلَى الْفِرَاشِ . .  
وَوَقَّفَ الْغُلَامُ يَذْرِفُ الدَّمْعَ السَّخِينِ وَيَقُولُ مَنْ لِي بَعْدَكَ  
يَا جَدِّي ؟ مَنْ لِي بَعْدَكَ ؟ فَقَطَّعَ قُلُوبَ الْحَاضِرِينَ حُزْنًا بَيْنَمَا  
أَسْرَعَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ فَحَمَلَهُ وَخَرَجَ بِهِ إِلَى السَّاحَةِ يُحَاوِلُ  
تَهْدِئَتَهُ .





اختار الجد أبي طالب لقلبه الكبير

ثُمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ . . وَمَا إِنْ رَأَاهُ مُحَمَّدٌ حَتَّى أَمْسَكَ بِرِمَامِ النَّاقَةِ  
وَقَالَ بِعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ . . .  
- يَا عَمِّي . . لِمَنْ أَنْتَ تَارِكِي . . وَلَيْسَ لِي أَبٌ وَلَا أُمٌّ . .  
خُذْنِي مَعَكَ . . .

وَفِي الْحَالِ رَقَّ قَلْبُ أَبِي طَالِبٍ وَأَرْكَبَهُ خَلْفَهُ عَلَى النَّاقَةِ .  
وَتَحَرَّكَ الرُّكْبُ وَسَارَتِ الْقَافِلَةُ فِي الصَّحَرَاءِ أَيَّامًا وَلَيَالِي ،  
وَمُحَمَّدٌ يُسَجِّلُ بَعَيْنَيْهِ كُلَّ الْأَحْدَاثِ . . وَيُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ  
رَجُلًا كَبَقِيَّةِ الرِّجَالِ يُقَدِّمُ الْمُسَاعَدَةَ لِلآخَرِينَ يَسْأَلُ عَمَّهُ عَنْ  
أَيِّ خِدْمَةٍ يُمَكِّنُهُ الْقِيَامُ بِهَا . . لَا يُثَرِّثُ وَلَا يَشْتَكِي ، يُحَاوِلُ  
جَاهِدًا الْقِيَامَ بِنَفْسِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ ، يُسَاعِدُ فِي إِطْعَامِ النَّاقَةِ  
وَتَجْهِيْزِ الْبِضَاعَةِ فَكَانَ عَمُّهُ يَفْرَحُ بِهِ لِأَنَّهُ لَا يُشْكَلُ عَبْدًا  
عَلَيْهِ . . وَظَلَّ الْحَالُ هَكَذَا حَتَّى وَصَلَتِ الْقَافِلَةُ سُوقَ  
بَصْرَى ، وَهُوَ مَكَانٌ بِشَرْقِ الْأُرْدُنِّ يَلْتَقَى فِيهِ التُّجَّارُ الرُّومَانِيُّونَ  
مَعَ التُّجَّارِ الْعَرَبِ لِتَبَادُلِ الْبَضَائِعِ . .

وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْ هَذَا السُّوقِ ( دِير ) يَسْكُنُهُ رَاهِبٌ اسْمُهُ  
بَحِيرَا . . يَمْضِي وَقْتَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْقِرَاءَةِ . . وَغِنْدَمَا انْشَغَلَ  
الْجَمِيعُ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ أَخَذَ الرَّاهِبُ بَحِيرَا يَنْظُرُ مِنْ سَطْحِ  
الدَّيْرِ ثُمَّ بَدَأَ يَدُقُّ النَّظَرَ وَيَفْرُكُ عَيْنَيْهِ بِيَدِهِ . . ثُمَّ صَاحَ عَلَى  
أَهْلِ الدَّيْرِ أَنْ أَسْرِعُوا وَوَجِّهُوا الدَّعْوَةَ لِلْقَافِلَةِ الْآتِيَةِ مِنْ  
مَكَّةَ . . . لِلْغَدَاءِ فِي الدَّيْرِ وَإِيَاكُمْ أَنْ تَنْسُوا أَحَدًا . . .

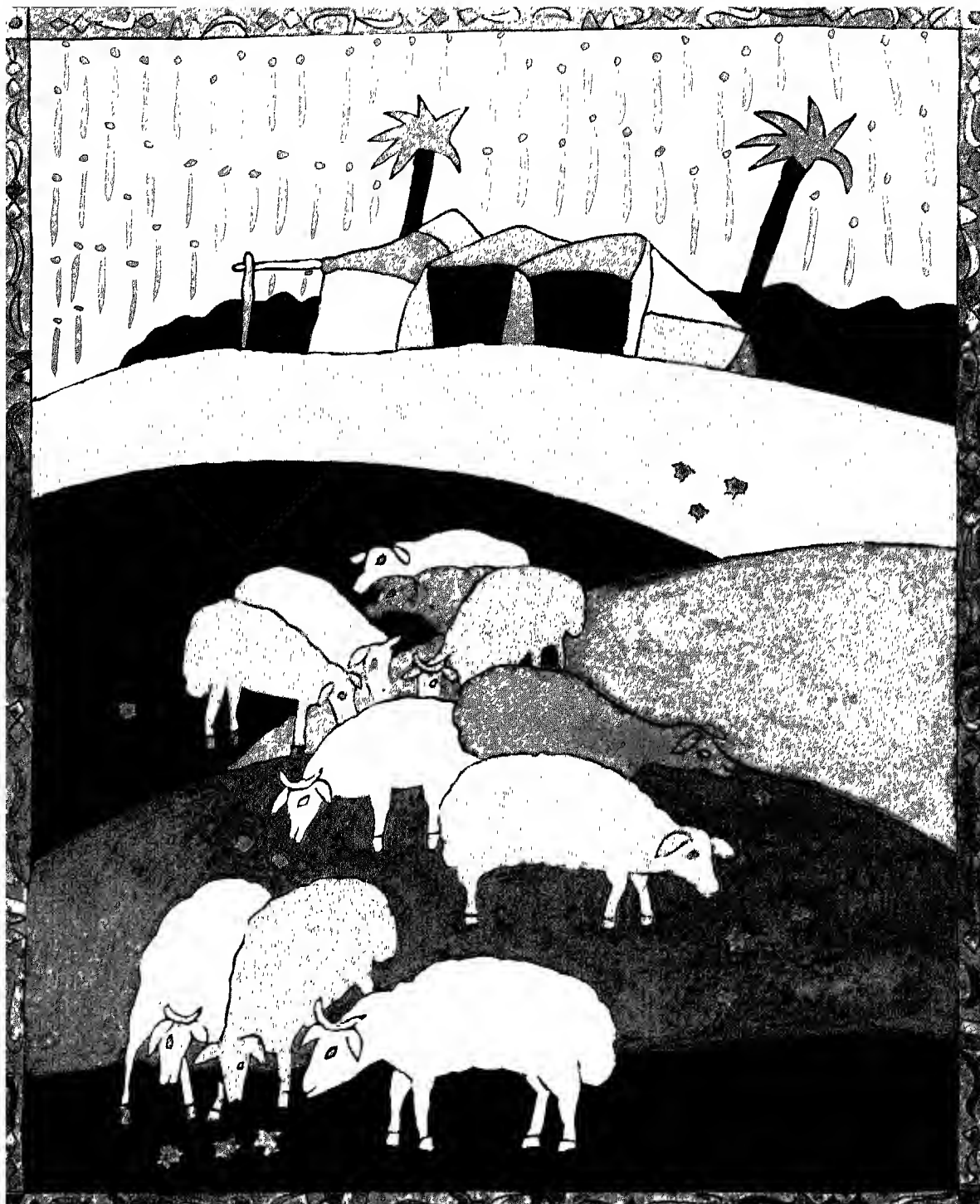




الراهب بحيرا ينظر في سطح الدير







إختار محمد العمل في رعى الأغنام

وفي أحد الأيام قال له بعض الأصدقاء . . يا مُحَمَّدُ لَقَدْ  
صِرْتَ فَتًى قَوِيًّا . . وَرَغِمَ ذَلِكَ لَمْ تَرَكَ قَطُّ فِي مَجَالِسِ الْفِتْيَانِ  
وفي سَمَرِهِمْ . . دَعُ غَنَمَكَ اللَّيْلَةَ مَعَ أَحَدِ أَصْدِقَائِكَ وَتَعَالَ  
إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ السَّمَرُ وَالطَّرَبُ . . والمتعة .

وبالفعل قرَّرَ مُحَمَّدٌ التَّوَجُّهَ إِلَى حَيْثُ يَجْتَمِعُونَ . . وَعِنْدَمَا  
اقْتَرَبَ مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْدَدِ سَمِعَ عَزْفًا بِالْغَرَابِيلِ وَالْمَزَامِيرِ فَسَأَلَ  
مَا هَذَا ؟ قَالُوا : تَزَوَّجَ فُلَانٌ فُلَانَةً . . فَجَلَسَ مُحَمَّدٌ يُسْتَرِيحُ  
قَلِيلًا ثُمَّ يَذْهَبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَكَانِ الْعُرْسِ . . وَلَكِنَّ اللَّهَ  
ضَرَبَ عَلَى أُذُنَيْهِ فَنَامَ فِي مَكَانِهِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ عَلَى مَسِّ  
الشَّمْسِ . . فَهَرُؤَلْ إِلَى غَنَمِهِ وَقَضَى الْيَوْمَ يَرْعَاهَا . . . وفي  
المساءِ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ مَاذَا فَعَلْتَ الْبَارِحَةَ ؟ فَحَكَى لَهُمْ مَا  
حَدَّثَ فَسَخِرُوا مِنْهُ وَرَاحُوا يُقَهِّقُهُونَ حَتَّى يُجْرِكُوا رَغْبَتَهُ فِي  
التَّشَبُّهِ بِهِمْ . . ثُمَّ قرَّرَ مُحَمَّدٌ فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ الذَّهَابَ إِلَى مَكَّةَ  
لِلسَّمَرِ ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْمَكَانِ سَمِعَ نَفْسَ الْعَزْفِ  
المُوسِيقِيِّ . . فَسَأَلَ مَا هَذَا قَالُوا : تَزَوَّجَ فُلَانٌ فُلَانَةً . .  
فَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَهْدَأَ قَلِيلًا مِنْ أَثَرِ السَّيْرِ ، فَضَرَبَ  
اللَّهُ عَلَى أُذُنَيْهِ فَنَامَ وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى مَسَّتْهُ حَرَارَةُ الشَّمْسِ ،  
فَرَجَعَ إِلَى غَنَمِهِ وَقرَّرَ أَلَّا يَذْهَبَ إِلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ مَرَّةً





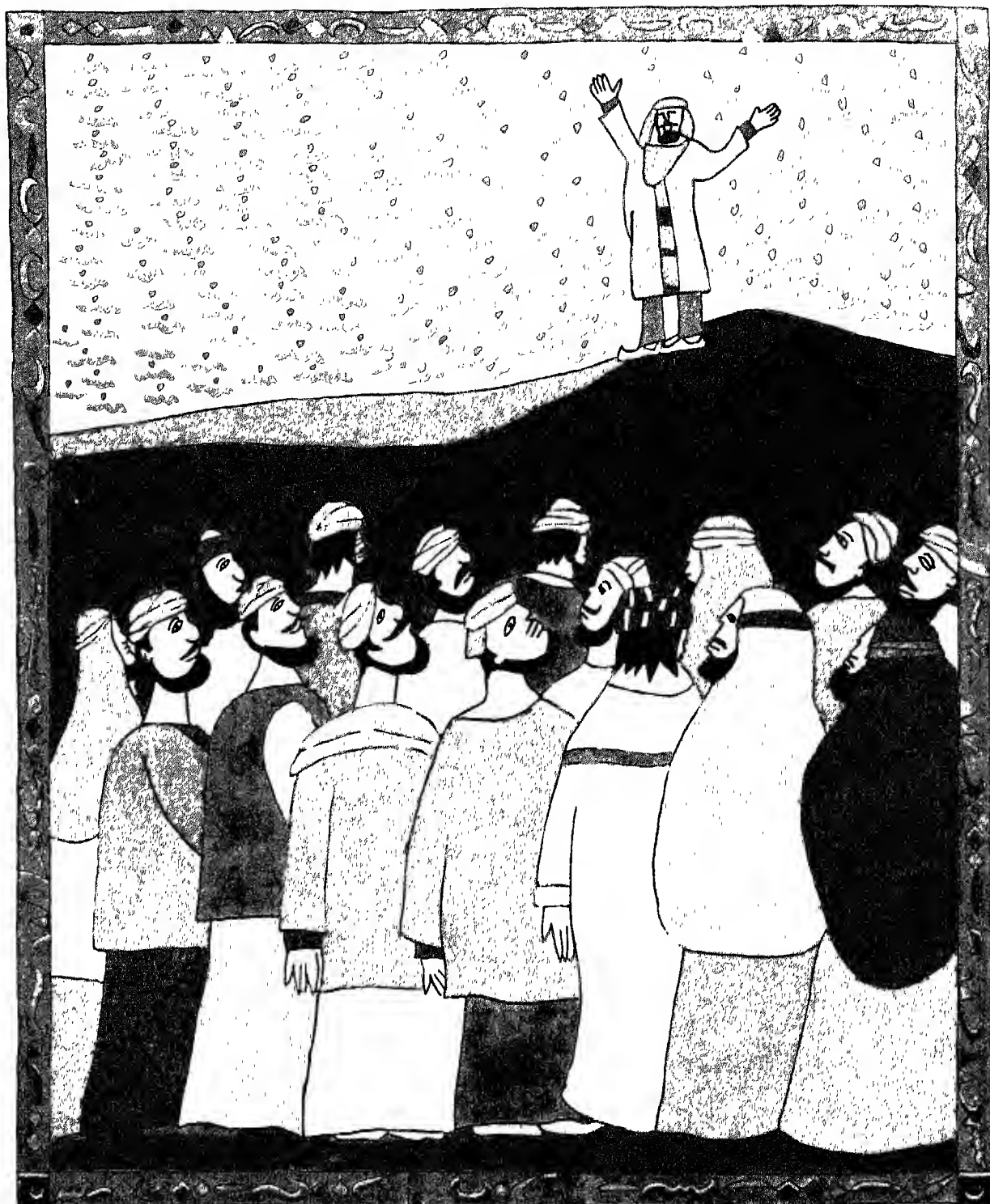
مجالس الشيطان التي حفظ الله محمدًا منها



الأصنام المنتشرة في صحن الكعبة



حرب الفجار

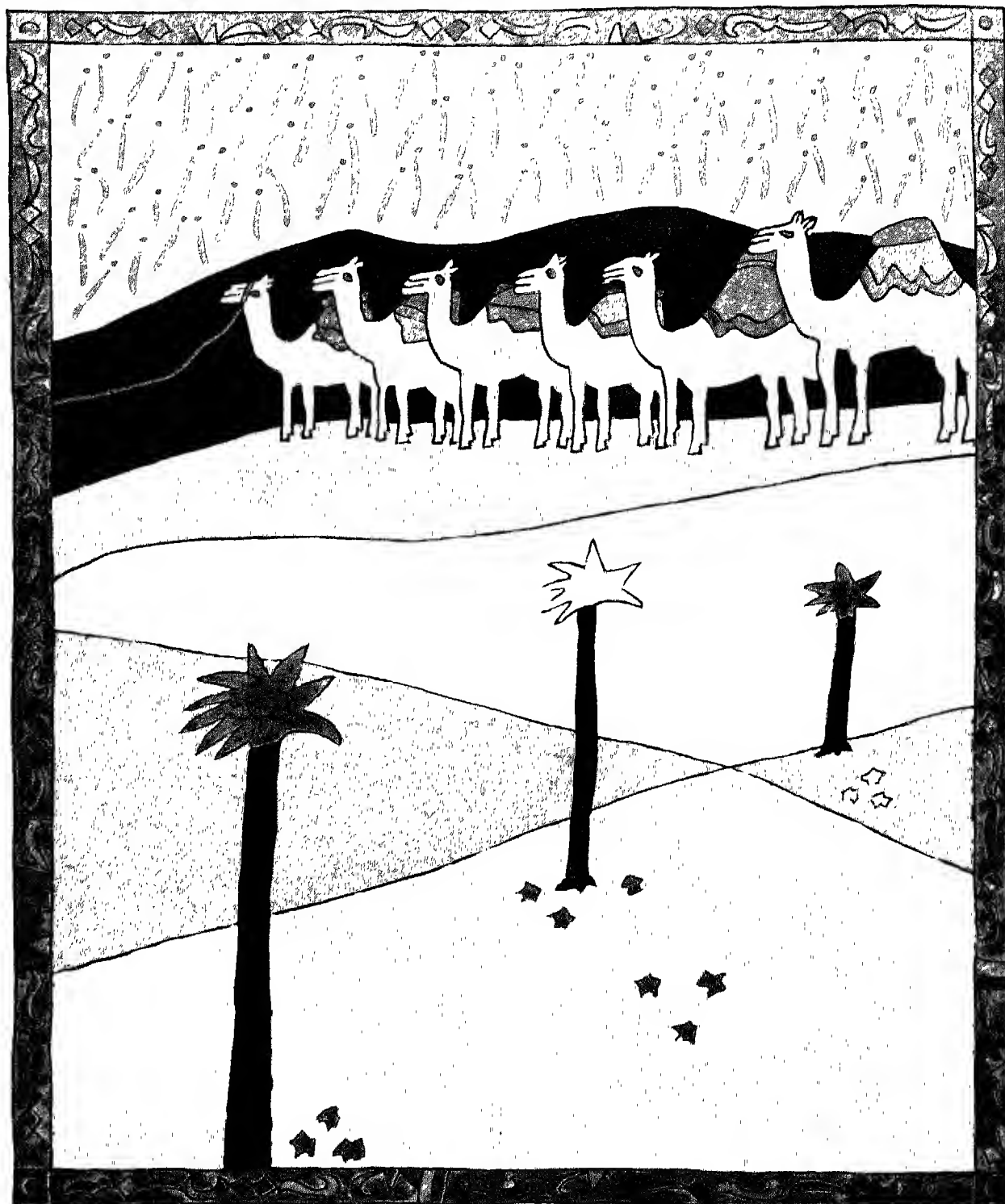


يا معشر قريش ردوا عليّ مالي الذي أخذته العاص





قرر رؤساء القبائل الاجتماع لنصرة المظلوم



وخرج محمد بتجارة خديجة إلى الشام





الراهب يسأل ميسرة



ميسرة يحكى للسيدة خديجة



نفيسة تتحدث

أُذْنِيهَا وَأَسَرَّ لَهَا بِأَنَّ مُحَمَّدًا هَذَا فِيهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا يُبَشِّرُ بِأَنَّهُ  
النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ . . . وَشَجَّعَهَا وَبَارَكَ زَوَاجَهَا . . . وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ  
ذَهَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ . . . وَأَبْلَغَهُ بِالْخَبَرِ فَسَعِدَ  
سَعَادَةً كَبِيرَةً بِهَذَا النَّسَبِ الْمُشْرِفِ . . . وَأَخْبَرَ الْعَمُّ بِقِيَّةِ  
الْإِخْوَانِ وَالْأَخَوَاتِ وَاتَّفَقَ عَلَى يَوْمِ الزَّوَاجِ . . . اتَّجَهَ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُهُ  
إِلَى بَيْتِ خَدِيجَةَ . . . وَحَضَرَ بَعْضُ أَقَارِبِهَا وَعَلَى رَأْسِهِمْ وَرَقَةٌ  
بْنُ نَوْفَلٍ . . . وَخَطَبَ أَبُو طَالِبٍ خُطْبَةً قَالَ فِيهَا :

( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَزَرَعَ  
إِسْمَاعِيلَ . . . وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ . . . وَحُكَّامَ النَّاسِ . . .  
وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا وَحَرَمًا آمِنًا ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدَ  
ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِهِ رَجُلٌ « شَرَفًا وَنُبْلًا » وَفَضْلًا . . . وَإِنْ  
كَانَ قَلِيلَ الْمَالِ . . . فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ . . . وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا  
لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ .

وَخَطَبَ مِنْ عَائِلَةِ خَدِيجَةَ عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ فَقَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا  
قِطْعَةٌ مِنَّا وَلَيْسَ غَرِيبًا عَلَيْنَا . . . وَإِنَّهُ كُفءٌ كَرِيمٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ  
يُرَدَّ أَوْ يُهَانَ . . . ثُمَّ خَتَمَ وَرَقَةً بْنُ نَوْفَلٍ قَائِلًا :

أَشْهَدُوَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ  
مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . . . وَقَامَ الْجَمِيعُ إِلَى الْوَلِيمَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا  
مُحَمَّدٌ . . . وَأَخَذَتْ الْجَوَارِي تَضْرِبُ بِالْدُّفُوفِ وَتُغَنِّي . . .



## حياته الزوجية

عَاشَتْ خَدِيجَةٌ مَعَ مُحَمَّدٍ . . نِعَمَ الزَّوْجَةِ الْوَفِيَّةِ الْمُطِيعَةِ  
لِزَوْجِهَا كَانَتْ لَا تُرْهَقُهُ بَطَلَبَاتٍ كَثِيرَةٌ . . وَلَا تُثْرِثُرُ كَمَا كَانَتْ  
تَفْعَلُ النِّسَاءُ . . فَلَا تَشْغُلُ ذِهْنَهُ بِالْأُمُورِ الْتَافِهَةِ . . وَلَكِنَّهَا  
كَانَتْ تُشَارِكُهُ التَّفَكِيرَ فِي الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْغُلُ  
تَفَكِيرَهُ وَلَقَدْ فَوَّضَتْهُ فِي أُمُورِهَا الْمَالِيَّةِ وَالتَّجَارِيَةِ وَأَعْطَتْهُ الرَّأْيَ  
الْأَخِيرَ فَكَانَ الْاحْتِرَامُ الْمُبَادَلُ هُوَ أَسَاسُ حَيَاتِهِمَا الزَّوْجِيَّةِ  
فَعَاشَا فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ . . وَوَلَدَتْ لَهُ الْقَاسِمُ الْإِبْنُ الْأَوَّلُ  
الَّذِي رَاحَ الْقَوْمُ يُنَادُونَهُ . . بِأَبِي الْقَاسِمِ . . وَلَكِنَّهُ مَاتَ  
صَغِيرًا فَتَحَسَّرَ عَلَيْهِ ثُمَّ وَلَدَتْ لَهُ زَيْنَبُ ثُمَّ رَقِيَّةٌ ثُمَّ فَاطِمَةُ ثُمَّ  
أُمُّ كُلْثُومٍ . . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَكْرَهُوا خِلْفَةَ الْبَنَاتِ  
وَيَتَشَاءُوا مِنْهَا ، لِأَنَّ الْبِنْتَ لَا تُدَافِعُ عَنْ قَبِيلَتِهَا إِذَا أَغَارَتْ  
عَلَيْهَا قَبِيلَةٌ أُخْرَى ، وَقَدْ تَتَعَرَّضُ لِلْأَسْرِ ، لِذَا كَانَ الْعَرَبُ  
يَذْفِنُونَ الْبَنَاتِ حَيَاتٍ دَرَاءً لِلْعَارِ . . أَمَّا مُحَمَّدٌ فَكَانَ يُثِيرُ  
تَعْجَبَ الْجَمِيعِ لِشِدَّةِ فَرَحَتِهِ ، كُلَّمَا رُزِقَ بِنْتًا ذَبَحَ الذَّبَائِحَ  
وَأَقَامَ الْوَلَائِمَ وَحَمَلَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ بِمُنْتَهَى الْحُبِّ وَالْحِنَانِ وَرَاحَ  
يُقَبِّلُهَا أَمَامَ النَّاسِ . . الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْفَرَحَ بِالْبَنَاتِ . . بَلْ  
كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا بُشِّرَ بِالْأُنْثَى اسْوَدَّ وَجْهُهُ كَمَدًّا وَحَسْرَةً .





وأخذت كل قبيلة بناحية من الثوب



# سيد الخلق

## طفولته وصباه

### صدر للمؤلفة

- رحلتى من السفود إلى الحجاب الطبعة الرابعة
- رفقا بالقوارير الطبعة الرابعة
- فيجار والغابة « صراع البنوك الإسلامية »
- موسوعة أناقة وحشمه الطبعة الرابعة
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الأول
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الثانى
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الثالث
- موسوعة أناقة وحشمه الجزء الرابع
- خمسين حل لخمسین مشكلة
- الإسلام والطفل

\* \* \*

- على بن ابى طالب « الفارس الفقيه العابد »
- أبو ذر الغفارى « حبيب الفقراء »
- آدم وخسواء
- قابيل وهابيل
- أهل الكهف
- موسوعة سيد الخلق ( ٦ أجزاء ) تحت الطبع

أردت بهذا الكتاب أن ألفت النظر إلى شخصية « محمد » . . القرآن الذى يمشى على الأرض . . فيصل الأمن والسلام والخير والحب أينما سار وحل .

أردت أن أساعد ولو بجزء ضئيل في عقلية أمة يأتى هواها تبعاً لما جاء به وحى السماء . . نعرف الهدف الذى نكرس له الوجود والجهود فتعمل لوجه واحد هو الله . . فيكفيها كل الأوجه وتعتز بالله فيعزها الله بنصره . . وتخدم الله فتخدمها الدنيا ولا تستخدمها .

أردت أن أشارك في صناعة جيل يدرك أن الله قد رشحه لمنزلة ضخمة هي عمارة الأرض بالعلم الذى ألح عليه الإسلام وبالعمل الذى نادى به القرآن وأكد عليه وقرنه بالإيمان فقدمت هذا الكتاب « سيد الخلق » صلى الله عليه وسلم في خمسة أجزاء . هذا هو الجزء الأول .

كريمان حمزة